الشعب
ech-chaab
يومية إخبارية وطنية تأسست في 15 ديسمبر 1962

لانخشى على شعب له مرجعيته التاريخية ومرجعية الشعب الجزائري ثورة نوفمبر المجيدة

1 نوفمبر 1954 2014

عدد خاص

بسم الله الرحمن الرحيم

نداء إلى الشعب الجزائري

هذا هو نص أول نداء وجهته الكتابة العامة لجبهة التحرير الوطني إلى الشعب الجزائري في أول نوفمبر 1954

أيها الشعب الجزائري،

أيها المناضلون من أجل القضية الوطنية،

أتم الذين يستعمرون حكمكم بشتى أنواع القهر، فيكم الشعب بصفة عامة، وإلى فئاتكم بصفة خاصة. فلكم أن تعرفوا من نشر هذا الإعلان هوان وضع الحكم الأسباب العميقة التي دفعتنا إلى العمل، وأن توضح لكم مشروعنا والهدف من وراءه، ومقومات وجهة نظرنا الأساسية التي دفعتنا إلى الاستقلال الوطني في أعماق الشمال الإفريقي، ورفعت أيضا هول بحشكا الالتماس الذي نكون قد فقدنا فيه الأمريكية وحملاتها الإذاعيون ومعنى بحارق السياسة الانتهازية.

فنحن نعتبر قبل كل شيء أن الفكرة الوطنية، بعد مراحل من الكفاح، قد أدركت مرحلة التحقيق النهائية، فقد كان هدف في حركة ثورية في الواقع. فجميع الظروف الثورية لقيام بعملية تحريرية، طالما اعتبر أن الشعب الجزائري في أوساطه الداخلية متحدا حول قضية الاستقلال والعمل، أما في الأوساط الخارجية فإن الاضراج، الذي في مناسبات التسوية بعض الشكاوى الثانوية التي من بينها قضيت التي تجد سندها الديمقراطي وحاضره بريق خيانة الوطنيين.

إن انضمام المغرب وتونس إليها دلائلها في هذا الصدد فهي تمثل بعض مراحل الكفاح التحريري في شمال إفريقيا، ومن الأخطر في هذا الميدان أن نشك مدة طويلة أول الناعمين إلى الوحدة في العمل هذه الوحدة التي لم يبح لها هذه الأمنية التحقيق إذا بقي الانقطاع الثلاثة.

إن كل واحد منها يدفع اليوم في هذا السبيل، أما الحزب الذي يقتسمها موحدة التركيب فإنها تعترض إلى مصير من بحاورته الأحداث، وهذا فإن حركتنا الوطنية قد وجدت نفسها محطمة، نتيجة سنوات طويلة من الجمود والرؤوس، وتجنبها من بحر ومة مهنة الرأي العام الضروري، فحاجة ورية الأحداث الأمر الذي جعل الاستعمار يطير فوحا طنا منه أنه قد أحرز انتصارا نهائيا في كفاحه ضد الطليعة الجزائرية.

إن المرحلة حضيرة.

أمام هذه الوضعية التي يختار أن يصبح حلاجها مستحيلا، زالت مجموعة من الشباب المنسوبين إلى المناضلين الوطنيين الذين خدمت حولها أعلى العناصر التي لا زالت سليمة ومصممة، دون وقت فاخر، لإخراج القوة الوطنية من المأزق الذي وجدت فيه سواء الانحراف والتقهقر المتعمد الذي ألحقت به الحركة الحزبية الثورية والتوفيقيين.

وبهذا الصدد فإننا نوضح بأننا مستقلون عن الطرفين اللذين يتنازعان السلطة، أن حركتنا قد وضعت التضحية الوطنية فوق كل الاعتبارات الأخرى والمطامح الشخصية والشهرة، وذلك في سبيل وحيدة فقط ضد الاستعمار الذي هو العدو الوحيد الأعمق الذي يعترض أمام وسائل الكفاح لتأمين الأدنى حرية وفشل إن هذه أسباب كافية لتحفيز حركتنا الجديدة على ظهور تحت اسم: جبهة التحرير الوطني.

وهكذا نخاطب من جهتي التيارات المختلفة، وتتيح الفرصة لجميع الوطنيين الجزائريين من جميع الطبقات الاجتماعية، وجميع الأحزاب والجمعيات الجزائرية، أن تقتصر إلى الكفاح التحريري دون أدنى اعتبار آخر.

وإلى بيان يوضح هذه فإننا نسطر فيما يلي الخطوط العريضة لبرنامجنا السياسي.

الهدف: الاستقلال الوطني بواسطة:

1. إقامة الدولة الجزائرية الديمقراطية الاجتماعية ذات السيادة، ضمن إطار المبادئ الإسلامية.
2. احترام جميع الحريات الأساسية دون تمييز عنصري أو ديني.

الأهداف الداخلية: 1. الخطير السياسي بإعادة الحركة الوطنية إلى وجهها الحقيقي والقضاء على جميع مخلفات الفساد وروح الإصلاح التي كانت عاملا هاما في تخلف الحالي.

2. تجنيد وتعبئة جميع الطاقات الشعبية لدى الشعب الجزائري لتصفية الحطام الاستعماري.

الأهداف الخارجية: 1. سند بين القضية الجزائرية.

2. تحقيق وحدة شمال إفريقيا في داخل إطارها العربي والإسلامي.

3. في إطار ميثاق الأمم المتحدة، تأكيد عطف الفعال تجاه جميع الأمم التي تساند قضيتنا التحررية.

وسائل الكفاح: استجابة مع المبادئ الثورية، واعتبارا الأوضاع الداخلية والخارجية، فإننا سنواصل الكفاح بجميع الوسائل حتى تحقيق هدفنا.

إن جبهة التحرير الوطني، التي تحقق هدفها يجب عليها أن تجر أهدافها بالتساوي في وقت واحد وهما: العمل بالتدخل سواء في الميدان السياسي أو في ميدان العمل المحض، والعمل في الخارج لجعل القضية الجزائرية حقيقة واقعة في العالم كله. وذلك بمساندة كل حلفائنا الطبيعيين.

إن هذه مهمة شاقة نبيلة التعب، وتتطلب كل القوى وتعبئة كل الموارد الوطنية، وتجربة إن الكفاح سيكون طويلا ولكن النصر محقق.

وفي الأخير، وبغياب الكلمات الخاصة، والدليل على رجعة الحرية في السلم، وتحديا للمحاسبة النشرية وبراءة الدماء، فقد اتخذنا المناطات الفرنسية وثيقة مشرفة للمناقشة. إذا كانت هذه المناطات تحترمها النية الطيبة، وقد توقف نهائيا الحروب التي استنزفها بحثها في قهر مصيرها بأيضا.

1. الاعتراف بالجنسية الجزائرية بطريقة علنية ومشيئة، خلفية بذلك كل الأفاعيل والقرارات والقوانين التي تجعل من الجزائر أرضا فرنسية رغم التاريخ والجغرافيا واللغة والدين وتعادات للشعب الجزائري.
2. فتح مفاوضات مع الممثلين المعوضين من طرف الشعب الجزائري على أساس الاعتراف بالسيادة الجزائرية وحدة لا تجزأ.
3. خلق جو من الثقة وذلك، بإطلاق سراح جميع المعتقلين السياسيين ورفع كل الإجراءات الخاصة وإيقاف كل مطاردة ضد القوات الكافحة.

وفي المقابل: 1. فإن مصالح فرنسية، الثقافية كانت والاقتصادية والمكتسبة عليها بالرغبة ستحترم وكذلك الأمر بالنسبة للأشخاص والعائلات.

2. جميع الفرنسيين الذين يقيمون في البلاد بالجزائر يكونون لهم الاختيار بين جنسيتهم الأصلية ويعترفون بذلك كأجانب تجاه القوانين السارية ويحترمون الجنسية الجزائرية وفي هذه الحالة يحترمون كجزائريين بالهم من حقوق وما عليهم من واجبات.

3. تحديد الروابط بين فرنسا والجزائر وتكون موضوع اتفاق بين الطرفين على أساس المساواة والاحترام المتبادل.

أيها الجزائري بالمذهب الديني، هذه الوثيقة. وواجبك هو أن تضعها أمام أنظارك وأن تعمل على أن تسترجع له حريته، إن جبهة التحرير الوطني هي جهادك، وانتصارها هو انتصارك.

أما نحن المقاومون على مواصلة الكفاح، الواثقون من مشاركتك للتضحية الأمين الشريف، فإننا نقسم للوطن أغلى ما نملك.

أول نوفمبر 1954
الجبهة الوطنية

أول نوفمبر 1954
جبهة التحرير الوطني

إعداد: المتحف الوطني للمجاهد - وزارة المجاهدين - خط وزخرفة ع. عابد

طبع ANEP بالجزائر

الافتتاحية

نوفمبر مرجعيتنا

بقلم السيدة أمينة دباش

كتابة التاريخ يتولاها حقا مختصون أكفاء، إلا أن وسائل الإعلام عبر معلوماتها وشهاداتها وتغطياتها للأحداث، تستطيع أن تساهم في هذه العملية. لذا ارتأت جريدة "الشعب"، التي تسعى للارتقاء إلى مصفّ هيئة توثيق أيضا من خلال محتويات صفحاتها، خاصة في ظرف كالذي نعيشه في ظل الانفتاح الإعلامي.

نعم جريدتنا تتجنّب الاستخفاف وجلّ معلوماتها ومصادرها مؤكدة.

ففي إطار عملية التوثيق سالفة الذكر، أردنا أن نساهم في إحياء الذكرى الستين لثورة نوفمبر المظفرة بهذه المجلة متعددة الجوانب والتي تتعلق بأيام الثورة، انطلاقا من عمليات الشفرة والتسلح إلى مراكز التعذيب، مرورا بورشات التعليم، إلى أماكن الاستشفاء، دون أن ننسى ميادين لعبت دورها كالرياضة والمسرح، لنختمها بقراءة في محتوى بيان أول نوفمبر.

كم نحن بحاجة إلى مراجعة هذه الوثيقة الخالدة من حين إلى آخر، كي نقيّم مسارنا ونقوّمَ سلوكاتنا تجاه ثورتنا التي تبقى مرجعيتنا التاريخية، لأنه لا يُخشى على شعبٍ مرجعيتُه ثورة نوفمبر المجيدة.

الرئيسة المديرة العامة
مسؤولة النشر
أمينة دباش

المشاركون في هذا العدد
فنيدس بن بلة
جمال أوكيلي
حامد حمور
سعيد بن عياد
دفوس فضيلة
لعراجي نور الدين
ناصر سابع
حمزة محصول
حبيبة غريب
أسامة إفراح
حياة كبياش
مني آسيا
حمزة لموشي
محمد مغلاوي
سهام بوعموشة
دليلة أوزيان
عمارة عمر
محمد ملزي
عقيدي فاتح
أم الخير سلطاني
هدى بوعطيح
أمين عباس

التصوير :
عباس تيليوة

المتابعة والإخراج
أ . ك
• وسيلة إسري
• عبد الحكيم برخرشوفة
• مروان هداجي

شكر خاص
إلى السيد أحمد ماضي - رئيس النقابة الوطنية لناشري الكتب

الطباعة
النقابة الوطنية لناشري الكتب

■ د. زغيدي في قراءة لبيان أول نوفمبر
وثيقة تاريخية تحمل قيم السلم والمصالحة وترقى للعالمية
.....من ص6 إلى ص9

■ من دشرة أولاد موسى بباتنة كانت الانطلاقة
.....من ص10 إلى ص11

■ مركز «لي بواسكري» بقوراية
جزائريون عذبوا حتى الموت
.....ص12

■ في قلب معتقل مهدية بتيارت
1300 سجين وضعوا في حفر عمقها 5 أمتار
.....من ص13 إلى ص14

■ مراكز دار الحمراء، «كولان»، وزنزانات تحت الأرض بمعسكر
شاهدة على أساليب التعذيب
.....ص15

■ بوداود مدير الأسلحة والتموين:
جمع السلاح مهمة كلفني بها أوعمران
.....من ص16 إلى ص18

■ المستشفيات السرية للثورة بباتنة
.....من ص19 إلى 21

■ رحلة في ذاكرة الثورة مع الرائد لخضر بورقعة
.....من ص22 إلى ص 23

■ المحكوم عليهم بالإعدام: لن نعترف بعدالتكم الظالمة
.....من ص24 إلى ص26

■ 30 معاقا يعانون عاهات وتشوهات خلقية بقصر تعرابت برڤان
.....ص27

■ التعليم الحر: الأسلوب الآخر لمقاومة الاستعمار
.....من ص28 إلى ص31

وثيقة : خدمة الكتاب ... المسيرة والإنجازات
.....من ص 32 إلى ص 37

■ المجاهد صالح ڤوجيل:
كان للإعلام دور ملموس في إبراز القضية الوطنية
.....من ص38 إلى ص39

■ عباد ونابي الضابطان في جيش التحرير:
التنصت العمود الفقري للعمل الثوري
.....من ص40 إلى ص42

■ عمار معمري مجاهد دوّخ الاحتلال بقسنطينة
.....من ص43 إلى ص45

■ المجاهدة عقيلة وارد شاهدة على النضال بالمهجر
.....من ص46 إلى ص47

■ الفدائي حسين الطاهر: هكذا أدت الفدائيات مهمتهن
.....من ص48 إلى ص49

■ المجاهدة دهواني وردية:
ساعدت العقيد عميروش، مليكة قايد والشيخ المختار
.....ص50

■ دبلوماسيون بالفطرة.. قادوا النشاط السياسي ببراعة
.....من ص51 إلى ص53

■ تونس، ليبيا، والمغرب قواعد خلفية للثورة الجزائرية
.....من ص54 إلى ص55

■ المجاهد ياسف سعدي: قصتي مع الإنتاج والتمثيل
.....من ص56 إلى ص58

■ الفرقة الفنية لـ«الأفلان» رافعت لعدالة القضية الجزائرية
.....من ص59 إلى ص60

■ قصائد حماسية مهربة من سجن «الداميات» بالمدية للشاعر أحمد أرسلان
.....ص61

■ المؤرخ الصغير أنيس بن طيب يفتح قلبه
.....من ص62 إلى ص63

■ فريق جبهة التحرير الوطني
مسيرة ثوار أبدعوا في ملاعب العالم
.....من ص64 إلى ص65

■ الدكتور السينغالي بكاري صامب:
النضال الجزائري مفخرة لكافة الشعوب
.....ص66

الدكتـــور زغيدي في قراءة وتحليل لأبعـــ

وثيقة تاريخية تحمل قيم السلم والمصـــ

"أيها الشعب الجزائري أيها المناضلون من أجل القضية الوطنية..."، كلمات كسّرت أسطورة الجزائر الفرنسية وأذابت فكرة الاستيطان الاستعماري، بعد أن شكلت منعرجا حاسما في تاريخ الثورة الجزائرية وباتت مدادا كتب به يوميات أعظم ثورة في التاريخ المعاصر.

آسيا مني

إعـــلان القطيعـــة مـــع النظـــام الكولونيـالي والاستيطاني الفرنـسي

"...إن جبهة التحرير الوطني هي جبهتك وانتصارها هي انتصارك، أما نحن العازمون على مواصلة الكفاح، الواثقون من مشاعرك المناهضة للامبريالية، فإننا نقدم للوطن أنفس ما نملك"... عبارات بكل ما تحمله من رمزية ومثل، وّحدت الحركة السياسية بمختلف توجهاتها وجمعت الشعب الجزائري حول ممثل شرعي وحيد ألا وهو "قيادة جبهة التحرير الوطني"، لتكون بعدها أرضية لبناء دولة مستقلة قوية بمؤسساتها العسكرية والمدنية.

هذه الأبعاد والأهداف التي تناولها بيان نوفمبر، الذي رسم معالم طريق الوصول لتحرير من خلالها الجزائر، وضعها تحت المجهر أستاذ تاريخ الحركة الوطنية والثورة التحريرية الدكتور محمد لحسن زغيدي، ليعطي كل حرف فيها الدور الذي لعبه في شـــدّ أزر الجزائـــريين للمضي قُدُما متحدين مع من سبقوهم إلى الجهاد، كاشفا بذلك بحنكة وحكمة علمية دقيقة لم يسبقه إليها أحد، متحديا عامل الزمن الذي يفصل بين فترة عاشت فيها الجزائر في ظلام، وأخرى ولدت من رحم ثورة، فكان عمله إضافةً إلى تأريخ مرحلة مهمة من تاريخ الجزائر.

ففي استعراض الدكتور زغيدي لأبعاد البيان، في حوار خص به "الشعب"، بعدما حدد مصطلحاته التي بنى عليها تحليله في مجموع 685 كلمة، قسّمها إلى أبعاد سياسية حضارية في 17 بعداً وكان أهمّها البعد الإنساني الذي يتطابق مع الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في 12 مادة منه وهو ما أعطى لهذا البيان بعد وثيقة سلم ومصالحة ترقى للعالمية.

أكد الدكتور زغيدي، أن البيان لم يأت من فراغ سياسي وطني دولي، بل جاء في ظرف أحاطت به عوامل دولية ووطنية وفرت الأرضية الفكرية الخصبة لبناء تلك الأفكار والعبارات المؤسسة للبيان والتي تعود إلى جذور الحركة الوطنية منذ انبعاثها في شكلها الوطني الثوري.

ويضيف المؤرخ، أنه ومع بزوغ نجم شمال إفريقيا سنة 1926، وما تلاها من أحداث هامة هزت الكيان الجزائري، خاصة الاحتفالات المئوية التي بيّنت فيها الإدارة الاستعمارية نواياها المستقبلية وإرادتها في الاحتفاظ الأبدي بالجزائر كمفتاح ذي بعد جيواستراتيجي هام بالنسبة للتحكم في مصير القارة الإفريقية وما شهدته سنوات الثلاثينيات من القرن الماضي فيما بعد من صراع فكري وإيديولوجي، إلى اندلاع الحرب العالمية الثانية وما واكبها من أحداث هامة ذات علاقة بالحالة الجزائرية والاتجاه الوطني بصفة خاصة، وكانت أهمها سقوط العاصمة الفرنسية و فرار وخيانة في صفوف الجيش الفرنسي

الدكتور لحسن زغيدي

ـــــاد بيان أول نوفمبر

ـــــالحة... وتـــرقى للعالميـــة

وانـقـسـامـه بين "بيتان" و«دي غول".

كـمـا أن الساحة الجزائرية، بحسب محدثنا، عاشت أحداث الحرب وتفاعلت مع الإيجابي فيها، لاسيما ما تعلق بالقضية الوطنية والتعريف بها والسعي لنيل الحقوق المغتصبة، نذكر منها، بيان الحلف الأطلسي سنة 1941، خاصة ما جاء في حق الشعوب في تقرير مصيرها، نزول الحلفاء في 8 نوفمبر 1942 بالجزائر واتخاذها مقرّا لسير العمليات بالمنطقة ومؤتمر سان فرانسيسكو والتأكيد على حق الشعوب أن تحكم نفسها بنفسها.

واستطرد زغيدي في تحليله الخاص بالعوامل التي ساهمت في صياغة أفكار بيان نوفمبر قائلا، بعد الحرب العالمية الثانية شهد العالم تغيرات هامة شجعت الشعوب على المطالبة بحق تقرير المصير، وما عرفته الساحة الدولية من هيئات ومؤسسات أممية وحصول دول على استقلالها في مختلف أنحاء العالم، لكل ذلك أثره الإيجابي في الفكر الوطني الثوري التحرري الذي انعكس في أدبيات البيان، لاسيما ما ورد فيه عاكسا لهذه الأهمية الظرف الدولي المشجع فجاء ما نصه: "إن الانفراج الدولي مناسب لتسوية بعض المشاكل الثانوية التي من بينها قضيتنا التي تجد سندها الدبلوماسي وخاصة من طرف إخواننا العرب والمسلمين"، بالإضافة إلى استقلال بعض المستعمرات الفرنسية بالقارة الإفريقية، وانضمام دول عربية إلى هيئة الأمم المتحدة وتأسيس مكتب المغرب العربي بالقاهرة في 15 فيفري 1947 ودوره في التعريف بالقضية الجزائرية.

أما على الصعيد الداخلي، فيرى أستاذ التاريخ أن صدور بيان الشعب الجزائري في 10 فيفري 1943 وإعلان حركة أحباب البيان والحرية في 14 مارس 1944 من أهم عوامل السند الذي شجع قادة الثورة على المضي قدما وإظهاره في نص البيان.

مجموعة الـ22

كما كان جيل نوفمبر، يضيف الدكتور زغيدي، يتتبع تلك الأحداث، لاسيما ما كان يجري في منطقة المغرب العربي من ثورات تحرير، خاصة بعد 1952 وما كان يسببه في نفسية الرأي العام الوطني عامة والنضالي الثوري خاصة، وهو ما دفع بالنخبة الثورية إلى التفكير والتخطيط من أجل العمل في الوقت المناسب.

وأضاف محدثنا، أن ظروفا طارئة أثرت على العمل الثوري من حيث تأخير الإنجاز، إلا أنها كانت في غير ما حسب لها من طرف الإدارة الاستعمارية، لكونها مكنت اللجنة الثورية من إعادة النظر في الترتيب والتنظيم، خاصة في مجال السرية والحساب المدقق لكل الخطوات المستقبلية لإنجاز العمل الثوري الجزائري من الجناحين، وهو ما جعل وزير الداخلية الفرنسي آنذاك، فرنسوا ميتران، يصرح في 30 أكتوبر 1954 بقوله: "مازلت أستبعد قيام عمل عسكري بالجزائر باستناداً لتقارير مصالحنا".

وقد لعب الكتمان وحفظ السر دورا أساسيا في التحضير للثورة والإعداد لها بصفة جيدة وحسنة دون الوقوع في الأخطاء والارتجال الذين قد يؤديان إلى اكتشاف الأحوال، حيث وضع مخطط ومنفذو الثورة خطة حكيمة اعتمدت السرية والكتمان والدقة في اختيار الرجال. وقد ساعدهم على ذلك، الوضع النضالي الذي تربوا وتكوّنوا فيه، حيث أن حزب الشعب الجزائري ومنذ إعلان حله سنة 1939 ودخوله السرية التي وجد فيها التربة الخصبة التي ترعرع ونشأ فيها جيل كامل، حيث عرفوا كيفية توظيفها واستعمالها كسلاح في الحفاظ على كيانه واستمرار مساره وتمتين أواصره ورصّ صفوفه، وقد مكنه ذلك من اجتياز عدة امتحانات وعقبات صعبة كان أقصاها وأصعبها مظاهرات 8 ماي 1945 وما نتج عنها من مجازر رهيبة، ذهب ضحيتها 45 ألف شهيد أعزل من أبناء الجزائر من مختلف الأعمار.

وقد أفضت تلك المجازر، عكس ما كان يخطط له العدو ويسعى، فزادت في ثبات الجيل ودفعه نحو تحقيق العمل الهادف. فجاءت فكرة البيان وكتابته، حيث كان يتطلب الإعلان عن الثورة المنظمة التي تهدف إلى التحرير والتغيير، ضرورة

السرية والدقة في التنظيم واختيار الرجال..

التعريف بها من أجل التقديم والتنوير، وهو ما يستلزم على قادتها تقديم بيان وإعلان سياسي يتضمن التعريف بها وبأهدافها ودوافع اندلاعها، والتنظيم الذي يقودها ويسهر على تسييرها، كذلك انتماؤها الحضاري وبعدها النضالي وماذا تحمل من أبعاد أخرى وأن تكون بمثابة آمال للشعب وتطلعاته وتحقيق رغباته، ثم ما هي البدائل المطروحة التي تسعى إلى الوصول إليها، ليجعل المتتبعين لأحداثها يثقون بها وبأهدافها، يلتفّ الناس حولها لتحقيق غايتها وهو ما يعكسه البيان في تنوير الرأي العام وقد استغرقت صياغة البيان والإعلان عنه وقتا طويلا بسبب تعقد موضوع المحتوى السياسي.

واستطرد محدثنا يقول، لقد تم تكليف كل من السيدين محمد بوضياف وديدوش مراد بكتابة نص البيان، بعدما تم الاتفاق على خطوطه العريضة، حيث تم اختيار المناضل الصحفي محمد العيشاوي لصياغة ورقن البيان، لما يتمتع به من ثقافة قانونية وتجربة نضالية في صفوف الحزب، حيث تم اصطحابه إلى محل المناضل عيسى كشيدة للخياطة أين تم فيه كتابة نص البيان والتي تمت بالكيفية التالية: تولى بوضياف وديدوش إملاء الأفكار الأساسية المستمدة من مبادئ الحركة الوطنية ولوائح مؤتمرات حركة الانتصار للحريات الديمقراطية.

وعن صياغة البيان وكتابته، يضيف زغيدي في تحليله، "كان السي الطيب يدلي بأفكار مستوحاة من برنامج حركة الانتصار للحريات الديمقراطية في جمل مفيدة. وعندما تمت كتابة الوثيقتين، اجتمع بوضياف بمجموعة الستة مرتين وتلاهما على مسامعهم".

أنتم الذين ستصدرون الحكم بشأننا

ونص البيان على أن الحكم يرجع إلى الشعب في قضية مصير الثورة ومسارها

مجاهدون على أتم الإستعداد

وهو الحكم الوحيد في تقييمها، حيث نصّ في أول عباراته، متوجها إلى الشعب بصفة عامة دون إقصاء أو تهميش، فجاء على النحو التالي:

«أيها الشعب الجزائري

أيها المناضلون من أجل القضية الوطنية أنتم الذين ستصدرون حكمكم بشأننا»: نعني الشعب بصفة عامة والمناضلين بصفة خاصة وهو الإقرار المعلن بأن الشعب هو صاحب كلمة الفصل، خاصة طليعته النضالية.

وفي مجال النقد الذاتي، وجه البيان النقد لحزب الشعب ولحركة انتصار الحريات الديمقراطية في تخليهما عن الخط الثوري الذي لطالما نادى به منذ بداية 1926 ودخوله في صراع هامشي، رغم أن واضعيه من مناضلي الحزب الذين تربوا في رحابه وتشبعوا بأفكاره، ما أدى إلى استياء وخيبة أمل المناضلين، حيث استعرض البيان بوادر الأمل ليعيد الثقة في نفسية المناضلين فجاء فيه: «أما نحن الذين بقينا في مؤخرة الركب، فإننا نتعرض إلى مصير من تجاوزته الأحداث، وهكذا فإن حركتنا الوطنية قد وجدت نفسها محطمة نتيجة لسنوات من الجمود والروتين...».

وفي غياب شخصية وطنية معلمية تقود الحركة الثورية، رأى محررو البيان أن يوضحوا ذلك بقولهم: «رأت مجموعة من الشباب المسؤولين المناضلين الواعين التي جمعت حولها أغلب العناصر التي لاتزال سليمة ومصمّمة، أن الوقت قد حان لإخراج الحركة الوطنية من المأزق الذي أوقعها فيه صراع الأشخاص والسمعة».

وقد أعلن قادة الثورة عدم انحيازهم لأي طرف من طرفي الصراع، حتى لا يحسب الشباب الثوريون قادة الثورة على طرف معين في الصراع السياسي، فوضحوا ذلك في البيان قائلين: «إننا نوضح بأننا مستقلون عن الطرفين اللذين يتنازعون السلطة، إن حركتنا قد وضعت المصلحة الوطنية فوق كل الاعتبارات التافهة والمغلوطة لقضية الأشخاص والسمعة».

وأعطى البيان أيضا الفرصة لكل أطياف الشعب الجزائري بالانضمام إلى العمل الثوري من خلال القول: «نتيح الفرصة لجميع المواطنين الجزائريين من جميع الطبقات الاجتماعية وجميع الأحزاب والحركات الجزائرية، أن تنضمّ إلى الكفاح التحريري دون أدنى اعتبار آخر».

وحدد البيان، بحسب زغيدي، الأهداف

الأساسية التي تسعى الثورة الجزائرية إلى تحقيقها من حرية واستعادة السيادة الوطنية، وتشكيل الدولة المنشودة تحت غطاء العدالة والمساواة والاحترام للحريات الأساسية، فجاء في نص البيان: «الاستقلال الوطني في إطار الشمال الإفريقي - إقامة الدولة الجزائرية الديمقراطية الاجتماعية ذات السيادة ضمن إطار المبادئ الإسلامية - احترام جميع الحريات الأساسية دون تمييز عرقي أو ديني».

وفي تحليله للأهداف الداخلية التي حددها البيان، يرى الدكتور زغيدي أنها تضمنت التطهير السياسي، بإعادة الحركة الوطنية إلى نهجها الحقيقي والقضاء على جميع مخلفات الفساد وروح الإصلاح، تجميع وتنظيم جميع الطاقات السليمة لدى الشعب الجزائري لتصفية النظام الاستعماري.

وقد حدد البيان أهدافا خارجية وذلك لأهمية العمل الخارجي ودوره في المساعدة الدولية على تحقيق النصر، انطلاقا من فكرة أن الضغط الدبلوماسي المساند يجبر العدو المعاند، فرتب مساعيه على النحو التالي:- «تدويل القضية الجزائرية - تحقيق وحدة الشمال الإفريقي في إطارها الطبيعي العربي الإسلامي - في إطار ميثاق الأمم المتحدة نؤكد عطفنا الفعال تجاه جميع الأمم التي تساند قضيتنا التحررية».

وعن وسائل الكفاح، فلم يحدد البيان نوعية الوسائل لتحقيق النصر، وإنما دعا إلى اتخاذ كل ما يحقق أهداف الثورة المعلنة بالوسائل السليمة في مقدمتها العمل الثوري، ولذلك نص البيان في هذا الصدد على «مواصلة الكفاح بجميع الوسائل حتى تحقيق هدفنا».

وفيما يخص أرضية السلم، دعا البيان إدارة الاحتلال لحل سلمي وتجنب إراقة الدماء والحفاظ على الحياة البشرية، فقد وضع لها شروطا واضحة لتحقيق السلم جاءت كما يلي: «الاعتراف بالجنسية الجزائرية بطريقة علنية... وإيقاف كل مطاردة ضد القوات المكافحة».

وأعلن البيان، أن الاعتراف بأرضية السلم والشروط المقدمة، ستقابل بالتزام السلطات الجزائرية بعد استعادة السيادة، فنص على مايلي: «إن المصالح الفرنسية ثقافية... تحديد الروابط بين فرنسا والجزائر... والاحترام المتبادل».

وتطرق زغيدي إلى كل من البعد المناخي والتاريخي والديني المختار لإعلان الثورة وتوزيع البيان. فقد اختار قادة الثورة شهر نوفمبر، نهاية فصل الخريف وبداية فصل الشتاء، حيث الأمطار والأوحال، مما يزيد صعوبة المسالك ويعرقل عملية المطاردة البرية ويضمن حصانة مناخية لجيش التحرير المعتصم في الريف وقمم الجبال.

وتاريخيا، فإن بداية الشهر يؤكد على أن العمل لم يكن ارتجاليا أو اندفاعيا أو رد فعل مباشر دون تخطيط محكم ومباشر أو تحضير عقلاني، كما أنه كان يوافق 6 ربيع الأول سنة 1347هـ، شهر مولد النبي صلى الله عليه وسلم ويصادف عيد القديسين لدى المستعمر الفرنسي.

ويري الدكتور زغيدي، الذي تمكن من إعطاء تحليل مفصل لأعظم وثيقة في التاريخ المعاصر في آخر حديثه معنا، أن بيان أول نوفمبر يعد وثيقة أساسية ومرجعية قاد ثورة تعد من أكبر ثورات العالم في القرن 20 وحررت نفسها وغيرها من شعوب الأمم ومازالت مرجعية إلى كل القرارات الأممية، وفقا للقرار 15-14 للأمم المتحدة الصادر في 14 ديسمبر 1960 نتيجة لتضحيات الشعب الجزائري في ديسمبر 1960.

وهو ما يجعل مبدأ البيان دائما المرجعية لأيّ عمل نافع جامع وموحد لتطوير الوطن باعتباره وحّد الشعب وجمعه من أجل التضحية في التحرير وهو اليوم القادر على جمعه مرة أخرى من أجل البناء والتعمير.

بيان أول نوفمبر

من دشرة أولاد موسى بباتنة كانت الانطلاقة

"من جبالنا طلع صوت الأحرار ينادينا"

«لقد كانت الثورة تنتظر هذا اليوم بشغف من أجل تحرير الوطن، إنه يوم عظيم ينبئ بالنصر الأكيد، لقد وقف الشعب في الشرق والغرب كرجل واحد، أنتم خضتم أكبر معارك الأوراس، لقد فقدتم بعضا من الرفاق الأعزاء الذين بكيناهم جميعا لكن مسيرة الحرية قد بدأت"،هي كلمات قالها الشهيد الرمز مصطفى بن بولعيد للمجاهدين بمنطقة كيمل، بعد 3 أيام من المعركة الشهيرة تابوشت التي وقعت بتاريخ 7 ديسمبر 1954، حيث كانتالمجدية في أول أيامها ، أين تلقى بن بولعيد بجنود الثورة لتعزيز ثقتهم بالقيادة والتأكيد على أن الثورة قد انطلقت فعلا ولا تراجع عن النصر أو الشهادة، وقد كان الشهيد الرمز رفقة المجاهدين شيحاني بشير و عباس لغرور حسب شهادة المجاهد الكبير سي جودي كيور.

عملية للمجاهدين

لموشي حمزة

لم يكن أحد يعتقد أن مجموعة من السكان الفقراء والأميين بمنطقة الأوراس الوعرة التضاريس ستصنع التاريخ وتقلب موازين المعادلة بين جيش استعماري غاشم جثم على صدور الجزائريين لمدة فاقت القرن والربع قرن كانت كلها سنوات قتل وانتهاك صارخ للحقوق والحريات، وبين "رجال" من الاوراس الأشم الذين عقدوا العزم على أن نهاية فرنسا قد اقتربت ومضى وقت العتاب.

خلال زيارتنا لدشرة أولاد موسى لم تكن هناك أية مؤشرات توحي بأن هاته الدشرة الصغيرة ستغير مجرى التاريخ وتصنع صفحات إحدى أروع وأعظم ثورات القرن الـ20 ، ثورة حيرت العالم وكشفت عن الوجه الحقيقي والقبيح لفرنسا الاستعمارية، تتواجد دشرة أولاد موسى التي إحتضن احد منازلها المعروف بمنزل "الإخوة بن شايبة" اجتماع الـ6 الكبار مفجري الثورة، ببلدية اشمول التابعة لولاية باتنة على سفح جبل اشمول، يقابلها جبل الظهري الكثيف المغطى بأشجار الصنوبر والمحاط بالوادي الأبيض، كما تتميز الدشرة بمنازلها المرتفعة والتي يتواجد تحتها عدد كبير من المزارع والبساتين

وهو ما جعل من منزل الإخوة بن شايبة مكان يكفي الاقتراب منه لتشعر بالرهبة والكبرياء والقداسة وحتى الخوف والفخر لأن الثورة انطلقت ذات نوفمبر من هنا، حيث تقع بمحاذاة الوادي وتحيط بها غابات كثيفة وهو ما جعل منها معقلا لثوار رفعوا التحدي وراهنوا على عدالة قضيتهم رغم قلة الإمكانيات واختلال موازين القوى.

لقد تم وضع اللمسات الأخيرة للتحضير لاندلاع الثورة التحريرية في اجتماعي 10 و24 أكتوبر 1954 بالجزائر من طرف لجنة الستة،حيث ناقش المجتمعون قضايا هامة هي : إعطاء تسمية للتنظيم الذي كانوا بصدد الإعلان عنه ليحل محل اللجنة الثورية للوحدة والعمل وقد اتفقوا على إنشاء جبهة التحرير الوطني وجناحها العسكري المتمثل في جيش التحرير الوطني،حيث تهدف المهمة الأولى للجبهة الاتصال بجميع التيارات السياسية المكونة للحركة الوطنية قصد حثها على الالتحاق بمسيرة الثورة، وتجنيد الجماهير للمعركة الحاسمة ضد المستعمر الفرنسي إضافة إلى تحديد تاريخ اندلاع الثورة التحريرية

،حيث كان اختيار ليلة الأحد إلى الاثنين أول نوفمبر 1954 كتاريخ انطلاق العمل المسلح يخضع لمعطيات تكتيكية عسكرية، منها وجود عدد كبير من جنود وضباط جيش الاحتلال في عطلة نهاية الأسبوع يليها انشغالهم بالاحتفال بعيد مسيحي، وضرورة إدخال عامل المباغتة و تحديد خريطة المناطق وتعيين قادتها بشكل نهائي، ووضع اللمسات الأخيرة لخريطة المخطط الهجومي في ليلة أول نوفمبر.

حيث تتمثل الولاية التاريخية الأولى في الاوراس الأشم ، تحت قيادة مصطفى بن بولعيد ، المنطقة الثانية هي الشمال القسنطيني بقيادة ديدوش مراد، أما المنطقة الثالثة فاختيرت القبائل تحت قيادة كريم بلقاسم والمنطقة الرابعة تتمثل في الوسط بقيادة رابح بيطاط وأخيرا المنطقة الخامسة بالغرب الجزائري بقيادة العربي بن مهيدي .

وبدشرة أولاد موسى أو عين الحمام كما كانت تسمى وبالتحديد في ليلة 31 أكتوبر إلى 1و نوفمبر 1954 في جنح الظلام كان هناك أكثر من 260 مجاهد يخترقون بأقدامهم سكون الليل وظلامه الحالك الذي عهدته المنطقة آنذاك، حيث اجتمعت قيادة المنطقة الأولى "أوراس النمامشة" ببيت بن شايبة وتحت إشراف البطل مصطفى بن بولعيد تلقى المجاهدون في هذا اللقاء التاريخي الذين لم يكونوا مجهزين للقتال أسلحتهم الأولى وقسموا إلى أفواج لضرب مراكز العدو الفرنسي في كامل المنطقة الأولى وقد تشكلت قيادتها في تلك الليلة من مصطفى بن بولعيد قائد المنطقة الأولى، بشير شيحاني نائب قائد المنطقة الأولى، عباس لغرور عضو المنطقة الأولى، مرود عزوي أمين المال، عاجل عجول عضو المنطقة الأولى، بوستة مصطفى عضو الولاية الأولى.

وقد تم استخراج الأسلحة المدفونة منذ 1948 بمنطقة كيمل وتوزيعها على المجاهدين، وبعد توزيع المهام اختيرت كلمة السر "خالد عقبة" التي بدأ المجاهدون يرددون في الجبال وكلهم يقين بالنصر، حيث أكدت مصادر ثورية عديدة لـ«الشعب" أن بداية الثورة بمشاركة 1200مجاهد على المستوى الوطني بحوزتهم 400 قطعة سلاح وبضعة قنابل تقليدية فقط، وكانت الهجومات تستهدف مراكز الدرك والثكنات العسكرية ومخازن الأسلحة.

وباعتراف السلطات الاستعمارية ، فإن حصيلة العمليات المسلحة ضد المصالح الفرنسية عبر كل مناطق الجزائر ليلة أول نوفمبر 1954 ، قد بلغت ثلاثين عملية خلفت مقتل 10 أوروبيين وعملاء وجرح 23 منهم وخسائر مادية تقدر بالمئات من الملايين من الفرنكات الفرنسية، أما الثورة فقد فقدت في مرحلتها الأولى خيرة أبنائها الذين سقطوا في ميدان الشرف ، من أمثال بن عبد المالك رمضان و قرين بلقاسم وباجي مختار و ديدوش مراد و غيرهم.

كلمة السر "خالد عقبة"

جاهزية دائمة

واليوم ،ورغم مرور أزيد من 60 سنة، على إحتضان منزل الإخوة بن شايبة للشرارة الأولى للثورة المظفرة ،لا تزال نفس البيوت"المقدسة" تحتفظ بأسقفها المصنوعة بالديس والطين في مشهد يوحي بإصرار التاريخ على الصمود وتبرز المعاينة الميدانية التي قامت بها جريدة "الشعب" ، للموقع أن كل شيء لم يتغير فالغرف التي جمعت الرعيل الأول من المجاهدين تحضى بالعناية الكافية إذ لم تتعرض إلى أي تغير آو تشويه أو حتى تدخل بشري ما يجعلها تحتفظ بقيمتها التاريخية، ويسهل الطريق المعبد الوصول إلى المكان "الرمز"، حيث يتواجد بالقرب من فناء فسيح أقيم به نصب تذكاري كبير يخلد مآثر الثورة التحريرية كما تتواجد بالمكان لوحة جدارية بها قائمة للشهداء بمحاذاة متحف صغير يضم معدات ووثائق ويحكي عن بطولات المنطقة و أحداثها الثورية التي ما تزال شاهدا على بطولات شعب أحب الحرية فرفض العيش بدونها.

جزائريون

مركز "بواساكري" بقورايـة

عذبـــوا حتى الموت.. وألقي بهم في البحر

كثيرون أولئك الذين تجرّعوا ويلات العذاب الوحشي بالماء القذر والكهرباء والصابون من وسائل التعذيب وغيرها بمركز "بواساكري" على بعد كيلومتر غرب مدينة قورايـة بولاية تيبازة، من زبانية الاستعمار، الذي تجرّدا من كلّ قيم ومبادئ الرحمة والشفقة وأذاقا جميع الذين رفضوا التعاون معهم أشدّ مظاهر التعذيب والتنكيل.

محمد ملزي

مشهد من التعذيب

كثيرون مِن هؤلاء مَن يقيمون حاليا ببلديات أغبال وقورايـة والأرهاط ومسلمون وغيرها ومن رحلوا عنا خلال سنوات خلت كانوا شهودا على الفضيحة التي كانت بطلتها فرنسا المتشدقة زورا بمبادئ الديموقراطية والحرية وحقوق الانسان، وأكّدوا لأبنائهم وذويهم ما حصل لهم على مدار عدة سنوات خلال الثورة مع ضباط العدو بمعية خونة من بني جلدتهم، فكان جزاء الجزائريين الذين يرفضون التبليغ عن الثوار أو التعاون مع العدو، تضييق الخناق عليهم والزجّ بهم في زنزانات مركز "بواساكري" الذي فتح خصيصا لهذا الغرض في جانفي 1956، حيث تم تجهيزه بمختلف تقنيات ووسائل التعذيب والتي من بينها أشاص يتفننون في هذه الحرفة القذرة من العدو وبعض الخونة .

وكان يؤتى بالأحرار من الرافضين التعاون مع العدو، بالعشرات والمئات إلى المركز لتذوّق شتى أنماط العذاب باستعمال المياه القذرة والمرفقة بالصابون والكهرباء ووسائل أخرى تهين الجزائريين في العمق، يتم من خلالها دمج النساء مع الرجال بدون حجاب ولا أكل ولا دواء بزنزانات تعجّ بكلّ ما هو قذر ونتن، قبل أن يرغم العديد منهم على حفر خنادق بالشاطئ المجاور دون أن يعلموا أنّهم سيدفنون هناك عند انتهاء المهمة، كما تشير شهادات أولئك الذين مرّوا من هناك حيث توصل بهم الحد أحيانا على شدّ أطراف بعض الموقوفين بإحكام قبل حملهم إلى عرض البحر في قوارب صيد تقليدية ورميهم في أعماق البحار مكبلين.

وأشار المجاهد علي عزيبي إلى أن عظام بشرية مدفونة منذ فترة الثورة، وأنّ الضباط الفرنسيين كانوا قد أمروا عشية الاستقلال مباشرة، ببعثرة المقابر الجماعية على مستوى الشاطئ وإلقاء جزء من العظام بالبحر للتستّر على فضائحهم التي ارتكبوها، لكنّ سكان المنطقة ومن مورس عليهم التعذيب بالمركز لايزالون يحتفظون في ذاكرتهم بعديد اللقطات والتصرفات غير الأخلاقية وغير الإنسانية الممارسة من زبانية العدو.

إلاّ أنّ إنشاء المركز في تلك الفترة لم يفت في عضد سكان المنطقة فيستسلموا ويقطعوا حبل التواصل مع الثورة، وفق ما كانت تصبو إليه القوات الاستعمارية، بل ساهم مساهمة فعالة في تأجيج الثورة أكثر من ذي قبل، بحسب شهادات عديد المجاهدين الذين من بينهم المجاهد علي عزيبي، الذي أكّد أنّ معظم المعارك الطاحنة بالمنطقة دارت رحاها عقب سنة 1956 تاريخ اعتماد مركز التعذيب على أنقاض مركز سياحي لفائدة الفرنسيين دون سواهم وزاد لهيب الثورة اشتعالا أكثر مما كان عليه، لاسيما وأنّ طلائع المجاهدين الأولى القادمة من الشرق والغرب التحقت بالمنطقة في السنة ذاتها ومن ثمّ فقد جنّد عرش بوهلال، الذي يمتد من سيدي سميان شرقا إلى بني بويعيش غربا، أكثر من 400 مجاهد حملوا السلاح، ناهيك عن اعتماد هؤلاء على فئات أخرى كثيرة كانت تموّن الثورة وتمدّها بالمؤونة والمستلزمات والمعلومات، وانقلب بذلك السحر على الساحر ليبقى مركز التعذيب بالمنطقة شاهدا حيّا على فظاعة التنكيل بالجزائريين بلا شفقة ولا رحمة.

في قلب معتقل مهدية بتيارت

1300 سجين وضعوا في حفر عمقها 5 أمتار.. منعوا من الأكل والشرب

"الحق يعلو ولا يعلى عليه والحق صامت يتكلم عندما يخرس المتآمرون". كما قال أحد الحكماء. ونحن نحتفل بذكرى مرور 60 عاما على اندلاع ثورة التحرير، زارت «الشعب» أحد مراكز التعذيب والتنكيل ضد الشعب الجزائري من طرف من تشدقت بحرية التعبير وحقوق الإنسان.

عمارة عمر

دهاليز الموت

مكان تناساه البعض، مركز التعذيب - ألكون - بمخرج مدينة مهدية من الجهة الشمالية والذي يتربع على أكثر من خمسة هكتارات ويحيط به سور حجري بالقرب من طريق معبد، ويفتح على باب خارجي يوحي للزائر بأنه معلم تاريخي يعود إلى حقب قديمة من الزمن وتقابله في الجانب الآخر من الطريق سارية علم ولافتة تمجد تضحيات الشهداء. وبحسب مرافقنا، فإن فكرة فتح معتقل التعذيب تزامنت وبداية سنة 1958، فاختيرت له مساحة بـ16 هكتارا وقد بدأت الفكرة الجهنمية بعد نصب خيم متناثرة وتحت حراسة مشددة. وقد جيئ بـ1300 سجين من مناطق كل من البيض وأفلو وتيارت والسوقر وعلى رقاب وأجساد المعتقلين تم نقل الحجارة من بلدية الناظورة المجاورة على متن شاحنات الجيش الفرنسي زيادة على حفر الخنادق التي يفوق عمقها الأربعة أمتار.

بعض من سألناهم عن المركز يجهلون تواجده، رغم صغر مدينة مهدية. غير أن أحدهم أخذنا إلى مقصدنا. وقد كانت دهشتنا عند اقترابنا من البوابة الرئيسية، لكون معتقل التعذيب صرحا تاريخيا كبيرا يظهر جليا من بعيد بوابة كبيرة لا تقل عن أربعة أمتار. وقد استقبلنا حارس المعتقل لنشرع بعدها في زيارة أقسامه المتناثرة على مساحة كبيرة.

كانت أول وجهة لنا مساكن العساكر، الذين كانوا يشرفون على تعذيب المجاهدين والمواطنين العزل دون تفرقة، حسب ما تنص عليه اتفاقيات الحروب. فالغرف التي يقطنها عساكر فرنسا عبارة عن غرفتين ودورة مياه واسعة ومياه متوفرة، ليرشدنا سي الطيب الحارس هو متواجد يوميا بالمركز

وبعد أسئلة قصيرة حول الغرف المتتالية دون رواق وعن مساكن العسكر، كما يسميهم، أجابنا محدثنا أن عدد الفرنسيين الذين كانوا يقومون بتعذيب الجزائريين إبان الثورة لا يتعدى الثمانية وهو العدد المرافق للسكنات الإلزامية.

وبتلهف شديد لمعرفة مكان اعتقال وتعذيب المجاهدين، طلبنا من سي الطيب إرشادنا إلى غرف التعذيب، قبل أن يعرفنا

مناضلون بمركز «ألكون» رفضوا تأدية "النشيد الفرنسي"

بباقي زوايا المعتقل وكم كانت دهشتنا كبيرة عندما طلب منا مرافقته والنزول إلى الحفرة الأولى بعمق يفوق 5 أمتار تقريبا، حيث نزلنا بصعوبة بسبب عمقها وطولها الذي يزيد عن 30 مترا وعرضها حوالي 22 مترا.

توغلنا داخل الحفرة الكبيرة. وبحسب دليلنا، فالحفرة الثانية يدخلها الأشخاص الذين يطالبون السجانين بتوفير الحقوق كالأكل أو الشرب أو حتى التوجه إلى دور المياه وقد يكبل بعض المعتقلين بسلاسل داخل الحفر خوفا من صعودهم إلى الأعلى، ولا تزال الأمكنة محافظة على شكلها ولن يستطيع رجل بدين أو مصاب في الأرجل أن ينزل إليها وهي بقعة تظهر من بعيد وعلى بعد 50 مترا من مركز القيادة للمستعمر والذي تتقدمه سارية العلم الفرنسي التي لاتزال تحافظ على شكلها الدائري ووسطه حلقة سلسلة أكلها الصدأ.

سارعنا بفضولنا إلى ولوج الممرات التي كانت تستعمل كمكاتب والتي بها أماكن للتعذيب عند قدوم زائر (معتقل) جديد إلى مهدية. وكان الجلادون يعمدون إلى وضع المعتقل داخل زنزانة ترابية مكشوفة على الهواء الطلق، سواء في وقت الحر أو القر، لا سيما المعتقلون الذين يطالون بتحسين وضعيتهم وهي شبيهة بالسجن الانفرادي حاليا.

وشمل المكان الذي يجمع فيه المعتقلين وإجبارهم على تعلم النشيد الفرنسي مما تسبب في تعذيب جميع السجناء لرفضهم الأمر، كما استقينا ذلك من الحاج لخضر، أحد مجاهدي المنطقة، الذي أدلى بشهادات عمن اعتقلوا وعذبوا في هذا المعتقل، لكون جميع المعتقلين غادروا المنطقة حيث جيء بهم من الولايات التي ذكرناها سابقا، أو يكونون قد رحلوا، بحسب الحاج لخضر. فالمعتقلون كان يؤتى بهم ليلا من مناطق مختلفة وأعينهم معصبة حتى لا يتعرفوا على أماكن وجودهم، يدخلونهم تحت جنح الليل ويوضعون في بيوت ضيّقة وفي الصباح يلحقونهم برفاقهم داخل الحفر حيث يذيقونهم أشد أنواع العذاب.

ومن بين أبشع ما تعرض له المعتقلون، جلب الحجارة من مكان بعيد عن الحفرة وإنزالها بداخلها وإنزال المعتقل بدون ملابس وتغييب أحد الموقوفين لمدة تفوق الاسبوع ثم الادعاء بأنه تعرض للقتل جراء عدم امتثاله للأوامر حتى يذعن الباقون للإقرار على محاضر يختلقها المحقق.

هذه بعض الشهادات التي استقيناها من بعض ممن سمعوا عن أنواع التعذيب الذي تعرض له الموقوفون بمعتقل المخيم ببلدية مهدية والتي تبعد عن تيارت بـ55 كلم. نشير أن وزير المجاهدين،وخلال زيارته الأخيرة لمعتقل مهدية كان قد منح مبلغا بـ5 ملايير و300 مليون سنتيم لترميمه وإعادة فتحه أمام الزوار والدارسين وحفاظا على الذاكرة التاريخية.

مراكز الدار الحمراء كولان وزنزانات تحت الأرض بمعسكر شواهد على أساليب التعذيب

قطع الأظافر، بتر الأصابع وقلع الأعين

تحصي منطقة معسكر المجاهدة 76 مركزا للتعذيب موزعة عبر 16 دائرة بالولاية، وإن لم تكن فرنسا الاستعمارية بحاجة إلى مراكز للتعذيب قصد استنطاق الجزائريين من ثوار ومدنيين، فذلك ما يرجح ارتفاع عددها، ناهيك عما خفي منها ولم يذكره التاريخ.

أم الخير سلطاني

المنطقة بحد ذاتها من المناطق الثورية التي قاومت فرنسا حين حاولت عزل الشعب بإقامة المحتشدات وتسليط أبشع أنواع التعذيب على المدنيين العزل. وفي هذا الشأن، حدثنا "الحاج يوسف عن الوسائل المروعة التي كانت تستخدم في استنطاق المجاهدين في حال تم اعتقال أحدهم، باستعمال الماء والصابون والكهرباء أو الزجاج بعد إزالة شعر الحواجب والأهداب، ثم سلخ الجلد ووضع الملح على الجروح، إلى جانب خلع الأظافر وقلع الأعين وبتر الأصابع والأعضاء التناسلية.

لم تتوقف اليد الاستعمارية عند حد التنكيل الجسدي، بل واصلت أساليبها الوحشية إلى التعذيب النفسي، من خلال المداهمات الليلية المفاجئة لبيوت المدنيين العزل ونقلهم إلى مراكز التعذيب، حيث يتم الاعتداء على النساء بوحشية أمام مرأى أزواجهن وأصولهن، ثم يجرد جميع المعتقلين من ملابسهم ويتركون عراة معلقين في الحبال أمام بعضهم البعض. وأوضح أحد أباء المجاهدين في شهادته لـ«الشعب" أنه كان صبيا حين استشهد شقيقه الأكبر وفي روايته ما يخزي النفس عن تقبل المشهد المروع الذي ظل يطارد الفتى في صغره وأثر فيه كهلا، بعد أن سأل والده المجاهد وهو على فراش الموت عن ما يبكيه كلما مرت ابنة عمه في رواق البيت أو لمحتها عيناه؟ فأجاب والده، أن عساكر قدموا العدو ذات ليلة للبحث عن شقيقه الشهيد وفيما لم يعثروا عنه، تمكنوا من أحذ زوجة أخيه الشهيد ونقلته بصحبتها إلى مركز التعذيب لاستجوابهما، أين خضع الاثنان إلى مختلف أنواع التعذيب الجسدي وعلقا في حبل جنبا إلى جنب، رغم ذلك لم يتمكن جنود فرنسا حينها من نيل إجابة شافية عن أسئلتهم.وبقيت هذه الصورة لم تغادر مخيلته، الحكمة فيما يرويه هؤلاء الأبطال اليوم من قهر وظلم تعرضوا له، يجعلنا نقف وقفة خشوع وإجلال أمام شجاعتهم ، ففي كل يوم يمضي إلا ويغادرنا فيه أحد صناع التاريخ ببطولاتهم وتضحياتهم.

وتلك الأثار المتبقية عن ما قاساه هاؤلاء لخير دليل على بشاعة الاستعمار وأساليبه القذرة في جمع المعلومات عن المجاهدين قصد ملاحقتهم أو بث الرعب في نفوس المدنيين لمنعهم من الالتفاف حول الثورة المباركة، فقصص التنكيل بمراكز التعذيب بمنطقة معسكر في تلك الفترة التي شهدت تصعيدا غير مسبوق في أعمال التعذيب الوحشي لازالت تروى. وقد أكدت لنا الشهادات الحية لبعض المجاهدين، أن مركز التعذيب "الدار الحمراء" بشمال مدينة معسكر، شهد أبشع أنواع التعذيب عن طريق استعمال الكهرباء والنار والزجاج، ثم رمي الجثث بعد التنكيل بها في أعماق بئر قريبة من المركز.

بقايا مركز التعذيب

وفي مركز التعذيب بسيدي بوسعيد، جنوب شرق الولاية، كان يتم تجميع المواطنين ثم تمارس عليهم شتى طقوس العذاب باستعمال الكلاب المدربة لتكون نهايتهم القتل المحتوم.

أما مركز التعذيب "كولان" "بسيق"، فكان يستقبل المعتقلين من مختلف مناطق الغرب الجزائري، وكان يتسع لـ100 معتقل، بعد أن حول من مزرعة لأحد المعمرين إلى مركز للتعذيب سنة 1957، وتم تقسيمه إلى قسم للتعذيب وآخر للاعتقال. وتوصف هذه المراكز بأسمائها على غرار "نيقو"، "غيلان"، "إيزيدور" وغيرها، إنها كانت في شكل زنزانات تحت الأرض، رطبة ومظلمة، ينتابك شعور رهيب لدى زيارتها، تكاد تسمع أنين المعتقلين وصرخاتهم لمجرد نزولك إلى المكان، قد تفاجئك الجرذان، وليست أكثر رهبا من الجنود الفرنسيين والضباط الذين تناوبوا على تعذيب الجزائريين في تلك الفترة.

وقد قدمت معسكر أكثر من 6 آلاف شهيد من خيرة أبنائها فداء الوطن خلال الثورة المباركة، وكانت أكثر استهدافا من السلطات الفرنسية الاستعمارية، ما يفسر العدد الكبير من مراكز التعذيب التي أقيمت لقمع الثورة، حيث بلغ القمع الاستعماري ذروته سنة 1956 في الوقت الذي شهدت فيه المنطقة نشاطا ثوريا مضادا أربك القوات الفرنسية بداية من معركة "غار بوجليدة" في سنة 1954 بقيادة أحمد زبانة ومعركة جبل المناور التي نالت فرنسا خلالها هزائم نكراء، ومعركة جبل اسطمبول في أوت 1958 بقيادة المجاهد أديب الميلود المدعو "سي عبد العزيز"، وملحمة فوج بوشريط بالمحمدية في ديسمبر 1959، أين حشدت فرنسا قوات كبيرة مقابل مجموعة من 12 مجاهدا كانوا في مهمة خاصة.

1 نوفمبر 1954-2014

بوداود مدير الأسلحة والتموين العـــــــــام للجيش في شهادات مثيرة

جمع السلاح مهمة كلفني بها أوعمران على الحـــــــدود الغربيـة تحت إشـراف بوضيـاف

أين موقع التسليح في معادلة الثورة الجزائرية؟ كيف فكر قادة جيش التحرير الوطني في صنع أسلحة لمواجهة مستعمر فرنسي استيطاني تنكّر للهوية الجزائرية؟ إلى أي مدى نجحت الاستراتيجية العسكرية الجزائرية إبان الثورة في قلب موازين المواجهة وتحقيق انتصارات ميدانية اخترقت خطي شال وموريس؟ كيف خططت لبلوغ القوة العسكرية التي مكنتها من خوض معارك نظامية مع العدو والتغلب عليه بعيدا عن حرب العصابات؟ التفاصيل يرويها لـ«الشعب" محمد بوداود، مدير الأسلحة والتموين العام، أثناء الكفاح المسلح في عيد الثورة 60.

فنيدس بن بلة

لم ينتظر محمد بوداود، وإسمه الثوري "منصور"، الوقت الطويل حتى انطلق في سرد لنا مسار انخراطه في الثورة التحريرية وتوليه مهام عملية التسليح والطرق المعتمدة في التمويه ومغالطة المستعمر الفرنسي واختراق حدوده ومواقعه بمنهجية مخطط لها، تثبت بحق عبقرية القادة التاريخيين الذين فكروا بدهاء في كل كبيرة وصغيرة وأظهروا للملإ أن الثورة التي اندلعت لتنتصر وتحقق المشروع الوطني المرسخ في بيان نوفمبر.

لم ينتظر بوداود الوقت الطويل، فما ان استقبلنا بحرارة ببيته بإقامة الباشا في منحدر شارع بوقرة بالعاصمة، حتى انطلق في سرد محطات النضال التي خاضها بتحد وانخراطه المبكر في معركة المصير من أجل حرية الجزائر. كيف لا وهو ينتمي إلى أسرة ثورية صغرت أمامها الأشياء وكبر فيها الوطن.

كلامه الهادئ الحريص على نقل أدق التفاصيل وأقوى الدلالات، زادنا تلهفا للاستفسار عن مسائل لم تكن مدرجة في الحديث الصحفي مع سي منصور، ومطالبته بالمزيد في معرفة قضايا جديرة بأن تدون في كتب وتنجز في أشرطة وثائقية، ما أحوجنا إليها في عيد الثورة الستين.

عاد بنا بوداود إلى بداية البدايات وهو يروي نضاله بكلام رزين متحديا تعب السنين وتقلبات الزمن، حريصا على الأمانة في نقل المعلومة، إدراكا منه بأهمية الحدث وقداسة النضال الذي خاضه بمعية رفقاء الكفاح وفق تقاسم وظيفي علت فيه صفة الجماعة وذاب الفرد وكانت العبارة المتداولة والقول المألوف آنذاك: "نحن قمنا بكذا مهمة وليس أنا قمت بها".

دروس استلهمت من الحركة الوطنيـة والمقاومـة

ولاشك فهذا من عبقرية الثورة ومخططيها الذين حفظوا الدرس من أزمة الحركة الوطنية وقبلها المقاومة بشقيها الشعبية والمنظمة، حيث القائد يعلو ولا يعلى عليه، كلامه وأوامره تنفذ طواعية دون نقاش وأخطاؤه وهزائمه تتقبل كانتصار وفوز لا يقوى انتقادها أو رفضها.

"كنت مدير الأسلحة والتموين العام للجيش بالجهة الغربية في المغرب تحديدا. انخرطت في النضال مبكرا سنة 1944 تحديدا بدشرة تاورقة بتيزي وزو قبل أن تدمج في بومرداس حسب التقسيم الإداري. خرجت من المدرسة ودخلت في النظام بهذه الناحية تحضيرا للثورة. جرى هذا بحزب الشعب، التنظيم الوحيد المطالب جهرا باستقلال الجزائر. استمررت في النضال حتى العام 1946 مع تحويل الحزب إلى حركة انتصار الحريات الديمقراطية. انتقلت إلى العاصمة وانخرطت في المنظمة السرية التي أنشئت من أجل التحضير للكفاح المسلح. باكتشاف فرنسا لها جمد العمل النضالي بقرار من المسؤلين الذين أكدوا لنا ضرورة توقيف كل نشاط وانتظار الأوامر. بقينا في الانتظار ولم نطلع على تفجير الثورة ولم نعلم من قرر هذا، رغم أننا حضرنا لها وكنا أول المعنيين، بحكم تجربتنا في المنظمة السرية وتدريبنا على خوض المعركة المسلحة. لم نعلم بالثورة ومفجريها ربما حتى لا يشاع السر". هكذا قدم لنا بوداود كيفية التحاقه بالنضال.

وعما قام به بعد تفجير الثورة، أجاب قائلا: "اتصلنا بالعقيد أوعمران بالولاية الرابعة التاريخية الذي كلفني بالذهاب إلى المغرب لجمع السلاح للثورة. حدث هذا العام 1955. وصلت إلى المغرب، حيث وجدت الكثير من الجزائريين هناك كلفتهم الثورة بمهام متعددة. وقد نظموا لي لقاء مع جيش التحرير المغربي الذي أبلغني قادته "أن لديهم أسلحة لكن يحتفظون بها وقت الحاجة، لأن المفاوضات مع فرنسا قد تأخذ منعرجا آخر وتتنكر باريس لاستقلال المملكة مما يحتّم الدخول معها في حرب". وذكر قادة الجيش المغربي أنهم سيزودون

المجاهد منصور رفقة مندوب الشعب

الثورة الجزائرية بما تحتاجه من أسلحة وعتاد بمجرد نيلهم الاستقلال. وهذا ما وقع، حيث تلقينا أسلحة وفيرة من الجيش المغربي بمساعدة من العقيد بن ميلودي من قرية خميسات والعقيد بن حمو من أغادير.

صنع الأسلحة خيار استراتيجي لبوالصوف وبومدين "بي.ام 40" رشاش جزائري

واصل محمد بوداود: "لما سمع بوضياف، المتواجد بالناحية المغربية، حسب تقاسم مهام القادة، أن هناك من يتولى جمع السلاح بالمنطقة، طالب من سي علال الثعالبي الإتيان بي بتيطوان وهي منطقة تحت الحكم الإسباني، للتعرف عليه. أخبرت بوضياف بمهمتي التي كلفني بها أوعمران فأعجب بالأمر وقال لي: إبق هنا. وقدم لي قادة وشخصيات منهم عبد الحفيظ بوالصوف، هواري بومدين وآخرين بالحدادة التي تضم وجدة، الناظور، تيطوان وبركان".

مع بوالصوف، بومدين، سي علال، الشاوي وعلي هارون

"شرعت في مهمة جمع السلاح مع مجموعة بوالصوف، بومدين والآخرين وإرساله مباشرة إلى الثورة. تكونت هنا فيدرالية الأفلان برئاسة سي علال. تضم في صفوفها، بالإضافة إلى سي علال، بوداود، أحمد الشاوي وعلي هارون. أنشئت خلايا كلفت بمهام عدة من جمع الأسلحة والأدوية والدعاية والسياسة".

عن كمية الأسلحة التي اشتُريت ومصدرها أكد سي منصور في سرده كل التفاصيل: "إنها جمعت من المقيمين الجزائريين والمغاربة المتعاطفين مع الثورة الجزائرية في العام 1956. قنيش إدريس الطبيب الجزائري المقيم بالمغرب وله عيادة مشهورة، التحق بصفوف الثورة، شرع في العمل معي بتكليف من بوضياف وهنا تمكّنا من شراء باخرة صغيرة للجيش المغربي بها عبوات ناسفة و70 طنا من المتفجرات، أجهزة التحكم والتفجير عن بعد، اشتريناها بعدما كانت راسية بميناء كاديكس الإسباني وأدخلناها بمساعدة المغربي لجريزي محمد واسمه الثوري "ميشال" إلى مرسى الحسيمة بالريف ليلة 21 أكتوبر 1956. بعد إلقاء القبض على الزعماء الخمسة من طرف السلطات الاستعمارية ضاعفنا الجهود لشراء أسلحة من إسبانيا، تكلف بها يوسفي محمد عضو سابق في المنظمة السرية.

تحدث بوداود عن مساع قاموا بها بالمغرب من أجل الاتصال بجزائريين كانوا في الجيش الفرنسي والكثير منهم هربوا إلى الجيش المغربي وظلوا يعملون به حتى استقلال المملكة. والهدف من ذلك إدماج هؤلاء في الثورة التحريرية. تم هذا بمساعدة المغربي العقيد بن ميلودي الذي منح مزرعته بالخميسات لقادة الثورة الجزائرية الذين اتخذوها مركزا لتدريب هؤلاء المنخرطين الجدد على خصوصيات جيش التحرير ونظامه وإرسالهم إلى القتال جماعات جماعات عبر بوابة عين الصفراء الواقعة تحت قيادة العقيد لطفي.

بعد كل هذه الجهود في شراء الأسلحة وتزويد الثورة في الداخل، هل فكرت القيادة في صنع الأسلحة؟ إنه السؤال المطروح بقوة، أجاب عليه بوداود قائلا: "شرعنا في صنع المتفجرات أواخر 1957، حيث أنشأنا أول مركز لهذا الشأن بناحية تيطوان الواقعة تحت الإدارة الإسبانية. صرنا نعمل مباشرة مع بوالصوف وبومدين بالولاية الخامسة التاريخية. بعد 1958 تقرر إقامة دوائر جديدة، منها دائرة الحرب، اللوجستيك، التسليح والتموين العام، الاستخبارات والاتصالات. هنا أسندت قيادة دائرة التسليح إلى أوعمران الذي أرسلني في البداية إلى المغرب من أجل جمع السلاح للثورة".

من صنع المتفجرات إلى الرشاش

يتوقف بوداود قليلا ويعود بذاكرته إلى الوراء، مفضلا نقل التفاصيل، اعتقادا منه أن من الجزئيات تكتمل الصورة الكبرى وتسطع الحقيقة، قائلا في هذا الشأن: "قبل هذا فكرنا مع بوالصوف وبومدين في صناعة أسلحة إضافية دون الاكتفاء بالمتفجرات وما يتبعها. وكان الاهتمام منصبا على صناعة الرشاش الذي يحمل اسم «بي.ام 40»، صنعناه أواخر عام 1959". غير أن المشكل الذي تلقاه قادة الثورة هنا، يكمن في غياب جزائريين لهم دراية وتجربة في صناعة الأسلحة الرشاشة والمتفجرات، لهذا تم الاتصال بفيدرالية جبهة التحرير بفرنسا للاستنجاد بجزائريين يعملون بمصانع ويملكون تجربة في إدارة الماكينات. كما وقعت اتصالات مع أحزاب بروسيا وأوروبا من أجل المساعدة على إرسال خبراء في الاختصاص لتكوين الجزائريين ومرافقتهم في إنجاز مخابر تحليلية ومعامل

5 آلاف رشاش وذخيرة و300 مورتر سلمناها لوحداتنا العسكرية

لم ينتظر محمد بوداود، وإسمه الثوري "منصور"، الوقت الطويل حتى انطلق في سرد لنا مسار انخراطه في الثورة التحريرية وتوليه مهام عملية التسليح والطرق المعتمدة في التمويه ومغالطة المستعمر الفرنسي واختراق حدوده ومواقعه بمنهجية مخطط لها، تثبت بحق عبقرية القادة التاريخيين الذين فكروا بدهاء في كل كبيرة وصغيرة وأظهروا للملإ أن الثورة التي اندلعت لتنتصر وتحقق المشروع الوطني المرسخ في بيان نوفمبر.

لم ينتظر بوداود الوقت الطويل، فما ان استقبلنا بحرارة ببيته بإقامة الباشا في منحدر شارع بوقرة بالعاصمة، حتى انطلق في سرد محطات النضال التي خاضها بتحد وانخراطه المبكر في معركة المصير من أجل حرية الجزائر. كيف لا وهو ينتمي إلى أسرة ثورية صغرت أمامها الأشياء وكبر فيها الوطن.

كلامه الهادئ الحريص على نقل أدق التفاصيل وأقوى الدلالات، زادنا تلهفا للاستفسار عن مسائل لم تكن مدرجة في الحديث الصحفي مع سي منصور، ومطالبته بالمزيد في معرفة قضايا جديرة بأن تدون في كتب وتنجز في أشرطة وثائقية، ما أحوجنا إليها في عيد الثورة الستين.

عاد بنا بوداود إلى بداية البدايات وهو يروي نضاله بكلام رزين متحديا تعب السنين وتقلبات الزمن، حريصا على الأمانة في نقل المعلومة، إدراكا منه بأهمية الحدث وقداسة النضال الذي خاضه بمعية رفقاء الكفاح وفق تقاسم وظيفي علت فيه صفة الجماعة وذاب الفرد وكانت العبارة المتداولة والقول المألوف آنذاك: "نحن قمنا بكذا مهمة وليس أنا قمت بها".

دروس استلهمت من الحركة الوطنية والمقاومة

قادة وجدة 1958

1. الرائد بوتفليقة المعروف باسم (عبد القادر المالي)
2. العقيد بوخروبة المدعو (هواري بومدين)
3. العقيد علي كافي
4. العقيد بوالصوف المدعو (سي مبروك)
5. العقيد مصطفى بن عودة
6. العقيد بودغان المدعو (لطفي)
7. الرائد رواي المدعو (توفيق)
8. الرائد رشيد المدعو (مستغانمي)
9. السفير لعلى
10. محمد بوداود المدعو (منصور)

ولاشك فهذا من عبقرية الثورة ومخططيها الذين حفظوا الدرس من أزمة الحركة الوطنية وقبلها المقاومة بشقيها الشعبية والمنظمة، حيث القائد يعلو ولا يعلى عليه، كلامه وأوامره تنفذ طواعية دون نقاش وأخطاؤه وهزائمه تتقبل كانتصار وفوز لا يقوى انتقادها أو رفضها.

"كنت مدير الأسلحة والتموين العام للجيش بالجهة الغربية في المغرب تحديدا. انخرطت في النضال مبكرا سنة 1944 تحديدا بدشرة تاورقة بتيزي وزو قبل أن تدمج في بومرداس حسب التقسيم الإداري. خرجت من المدرسة ودخلت في النظام بهذه الناحية تحضيرا للثورة. جرى هذا بحزب الشعب، التنظيم الوحيد المطالب جهرا باستقلال الجزائر. استمررت في النضال حتى العام 1946 مع تحويل الحزب إلى حركة انتصار الحريات الديمقراطية. انتقلت إلى العاصمة وانخرطت في المنظمة السرية التي أنشئت من أجل التحضير للكفاح المسلح. باكتشاف فرنسا لها جمد العمل النضالي بقرار من المسؤلين الذين أكدوا لنا ضرورة توقيف كل نشاط وانتظار الأوامر. بقينا في الانتظار ولم نطلع على تفجير الثورة ولم نعلم من قرر هذا، رغم أننا حضرنا لها وكنا أول المعنيين، بحكم تجربتنا في المنظمة السرية وتدريبنا على خوض المعركة المسلحة. لم نعلم بالثورة ومفجريها ربما حتى لا يشاع السر". هكذا قدم لنا بوداود كيفية التحاقه بالنضال.

وعما قام به بعد تفجير الثورة، أجاب قائلا: "اتصلنا بالعقيد أوعمران بالولاية الرابعة التاريخية الذي كلفني بالذهاب إلى المغرب لجمع السلاح للثورة. حدث هذا العام 1955. وصلت إلى المغرب، حيث وجدت الكثير من الجزائريين هناك كلفتهم الثورة بمهام متعددة. وقد نظموا لي لقاء مع جيش التحرير المغربي الذي أبلغني قادته "أن لديهم أسلحة لكن يحتفظون بها وقت الحاجة، لأن المفاوضات مع فرنسا قد تأخذ منعرجا آخر وتتنكر باريس لاستقلال المملكة مما يحتّم الدخول معها في حرب".

المستشفيات السرية للثورة بباتنة

المجاهد عقوني مهندس مراكز العلاج "النبكة" ببيطام

المجاهد عقوني

تسليط الضوء على المواقع والمعالم التاريخية التي احتضنتها الثورة ونحن نحتفل بمرور الذكرى 60 لاندلاعها، والتي بقيت شاهدة على عظمتها، وتنوعت عبر المناطق كل حسب المهام التي تحددها القيادة. ومن بين المراكز الاستشفائية التي كانت تسيّرها الثورة، مستشفى النبكة ببلدية بيطام، الذي اتخذته مركزا سريا للعلاج ومكانا للراحة بالنسبة للجرحى من المجاهدين، حيث أن دخول منطقة ما،ومعرفة خباياها وأسرارها لا يتأتى إلا بالتقرب والحديث للذين كانت تربطهم علاقة بذلك، من ممرضين وأطباء ومجاهدين عالجوا بهذه المراكز.

نور الدين لعراجي

اختيارنا قادنا إلى الرجل الأول، الذي كان له الفضل في إنجاز هذه المراكز وهو المجاهد محمد يعقوبي، الذي شارف سنّه العقد التاسع، روّض الطبيعة وترك بصماته شاهدة هناك إلى الأزل.

الرحلة من العاصمة إلى بلدية بيطام

لم تكن الرحلة التي قادتنا إلى بلدية بيطام بالسهلة، أين قطعنا مسافة 400 كلم متجهين إلى أحد أهم هذه المراكز الاستشفائية بالولاية التاريخية الأولى، ومعلم من معالم الثورة التحريرية التي لم تحظ بحقها الإعلامي والتاريخي وهي صامدة بين هذه الكثبان الرملية. وقصد نفض الغبار عن هذه الشواهد وبعثها من جديد وتسجيل شهادات أصحابها الأحياء، حتى تبقى شاهدة على شساعة الثورة وأهميتها في تحديد المناطق التي تراها أهلا للعلاج أو مراكز عبور أو لتخزين المؤونة.... إلخ. ونحن في الطريق تراءت لنا المنطقة وكأنها لوحة سبحان من صممها وعدلها. وصلنا أولاد عيش ومنها إلى دوار أولاد جحيش، أين يقطن المجاهد عمي محمد يعقوبي، الشخص الذي قام ببناء هذه المراكز في الرمال، بعد أن دلنا أحد الشباب على مكان إقامته. وبالفعل اتجهنا إلى بيت صاحب الفضل في إنجاز هذه المستشفيات ولما وصلنا البيت، استقبلنا

ورحب بنا، وبعد الحديث عن الثورة والشهداء ونعمة الاستقلال، طلبنا منه أن يحدثنا عن بداية الفكرة وصولا إلى هذا المعلم الذي يصرّ على البقاء وحيدا في هذه البراري الرملية دون رفيق ولا أنيس، يحادث ذكريات الذين رحلوا وبقي الحنين يشده إليهم ويحدثنا عن الفكرة التي بها أصبحت هذه المستشفيات شاهدة إلى اليوم.

وبإلحاح وإصرار منا أن يكون هذا الإنجاز مرآة عاكسة لواقع هذه المنشآت الفنية. وكما كان مخططا انتقلنا برفقته إلى مستشفى النبكة، وبعد أن قطعنا مسافة قصيرة عبر طريق اجتنابي غير معبد، تعطلت سيارتنا في الرمال، ولم نستطيع تكملة المسير ما اضطرنا السير على الأقدام تحت حرارة قاربت 38 درجة.

رهبة المكان الخالي من البشر إلا من الطيور الجارحة التي تراقب صيدها عن بعد وكأنها خاشعة في تعويذة موسمية، ومما زاد المكان وحشة تلك الكثبان الرملية التي تمتد على مد البصر. تابعنا الطريق الرملي الذي غيّبت معالمه الرياح، بدأ الخوف ينتابني من هذا الفيض الرملي، بعد أن علمت أن المسافة مازالت بعيدة. توقفنا بعد أن قطعنا مسافة 4 كيلومترات، حيث أخذ منا التعب كل الجهد. لكن شغفي في معرفة هذا المكان زادني حماسا لمواصلة السير.

وقف عمي يعقوبي على أعلى هضبة يراقب السبيل الأقرب إليها، ثم أشار إليّ بأن الطريق من هنا، طالبا مني التمعن في شجرة تتوسط هذا الخلاء لوحدها، وإذ هي هناك

القواعد الخلفية للثورة في الواجهة

على مرأى العين، يراها قريبة وأراها بعيدة، قال لي: إذن بقيت أمامنا 3 كليومترات ونصل إليه.

في هذه الأثناء تصورت نفسي جنديا بجيش التحرير الوطني وفي مهمّة استطلاعية. وأنا سارح في هذا الخيال تراءى لي من بعيد نصب حجري، وما أن وصلنا كانت الحيرة والسكون يخيمان على الموقع الذي تداركت السلطات، بعد مرور أكثر من نصف قرن، فقامت بتسييجه وجعلت منه معلما محترما في غياب الطريق المؤدي إليه.

ونحن نعبر الطريق، حدثني عمي يعقوبي عن المنطقة، قائلا: "مثلها مثل أعماق البحار من تطأ قدماه هذه البقعة لا يغادرها سالما"، لا يفرق بين الغرب والشرق أو الشمال والجنوب نتيجة التضاريس الرملية الوعرة والمتشابهة.

ما إن اقتربنا كان الصمت يفجع المكان، وتعويذة الزمن لفظت أنفاسها هنا، سكينة تنذر بصعود الأرواح وها هي تحرس الأمكنة من أي خطر يداهم عزلتها الأبدية، كانوا يسكنون هذا المكان، منذ نصف قرن وهنا كانت بدايات عمي يعقوبي بحفر هذه التلال وجعلها ملجأ لمعالجة الجرحى من المجاهدين الذين تعذر عليهم البقاء في الجبال، المعرضة لتفتيش ومداهمات العدو. وبلغة الرجل الواثق، يكشف عمي يعقوبي عن شبابه قائلا: "كانت الأرض تخافني".

النزول إلى أسفل الأرض لولوج المركز الاستشفائي

ذكر أنه تلقى الأمر من مسؤول المشتة عن المهمة التي أوكلت إليه، بحكم أنه يمتهن الرعي ويعرف المنطقة جيدا، فقام بتنفيذها وهي حفر أماكن لمعالجة الجرحى من المجاهدين وإسعافهم، لأن الأوامر يجب أن تنفذ.

بدأ العمل بما يتطلبه من صبر وقوة وجهد عضلي، وحنكة وخبرة في التعامل مع الرمال التي لا ترحم أحدا. أما عن المدة التي قضاها في بناء هذا الهيكل، قال عمي يعقوبي أنا لا أتذكر بالضبط، مضيفا"كنت أعمل وعندما أتعب أنام". سألناه هل المدة تفوق الشهرين قال: لا، لا ربما أقل لأن التراب كان يخافني فعلا وبالتالي فالمدة لا تتجاوز الشهر، وكل ما كان يتعبني تلك الرمال التي كان يصعب عليّ التعامل معها، لأن العمل هنا يتطلب التريث والصبر وكان ينقل الرمال إلى مكان واحد وعندما يتجمع يقوم بإخراجه بعيدا عن المكان حتى لا يثير الشبهات.

المركز مقسم بشكل هندسي يثير الدهشة والأسئلة حول تصميمه، وكيف لرجل لا شأن له بالعمران، ينجز تصميما في غاية الروعة، سواء من المدخل الأرضي على شكل بئر اجتنابي إلى زاوية الفوهات التي تدخل الضوء إلى القبو، أو الجدران التي كانت تفصل هذا الإبداع الفني، إضافة إلى المكان المخصص للطبيب أو العسكري لكتابة الوصفة أو التقارير وهو مسطح على شكل كرسي أرضي يتسع لثلاثة أشخاص، يتخذه الطبيب أو الممرض سريرا يعالج فيه الجرحى، حتى الفوهات الخمس الموجودة على سطح المستشفى، تدخل الضوء والأكسجين وهي مربوطة إلى جذع شجرة الشيح أو السدر الشوكي كتمويه لا يمكن اكتشافها بالنسبة للذين يطول بقاؤهم داخل القبو أو يتطلب علاجهم أشهرا، وبالتالي تتنوع جدرانه بشكل يثير الاهتمام حول صلابة وسمك هذه التربة التي حولتها يدا عمي محمد إلى تحفة فنية مازالت شاهدة للعيان حتى اليوم.

أما عن كيفية اختيار باب المركز أجابنا عمي يعقوبي: "ذلك يتم بالقرب من الطريق أي يوضع الباب في مقدمة الطريق، وفي هضبة صغيرة فعند فتح المدخل تتجه الرمال إلى الخلف، وعند إعادة الغطاء إلى مكانه تعود تلك الرمال إلى شكلها الطبيعي وكأن شيئا لم يكن؛ بمعنى النفق يغطي نفسه بنفسه. يختلف بناء هذه المراكز من نوع إلى آخر كل حسب طبيعة

مدخل المستشفى الأرضي

المكان ونوعية التربة، لأن الأعشاب الصحراوية الشوكية كالسدر، الطارفة، الدفلى جذورها تمتد إلى أسفل الأرض، وبالتالي من الصعب التحكم في عملية النحت"، ويضيف: "هناك بعض المراكز هيّأتها وهي داخل زريبة الخيل والماشية يتم ربط بابها الخشبي بعد بناء 4 جدران صغيرة حول الفوهة، ثم ينشر التبن فوقها ولا أحد بإمكانه اكتشاف ذلك، حتى الذين هم من سكان المشتة لا يعرفون إن كان هناك مخبأ داخل البيت مخصص للجبهة. أما في حال تعرض البيت لتفتيش من طرف قوات الاستعمار، لا يكتشفون أي شيء".

ولما سألنا عمي يعقوبي عن كيفية تحمل البقاء داخل هذه المراكز وخاصة بالنسبة للمرضى أجابنا: "من المرضى من بقي حتى 8 أشهر"، وهناك أفواج تذهب وأخرى تأتي. ففي النهار يخرجون، أما في الليل يلتحقون بأماكنهم داخل نفق المستشفى. وقد أجريت حتى عمليات جراحية هنا، قام بها أطباء الثورة، تستدعيهم القيادة للقيام بذلك، فيلتحقون بالمكان وهم معروفون. وهناك مراكز تنصب فوقها خيمة أو "بيت شعر" وتتوسط المركز، بحيث لا يمكن لعابر الطريق أن يرى من في الداخل وحتى للطائرات لا يمكنها اكتشاف من هم بالخيمة وفي حالة طارئ ما، يلتحق الجميع بالنفق وفوق مدخله تضع المرأة موقد النار لتحضير الأكل حتى لا تثير انتباه المدنيين أو عابري الطريق، فما بالك بالعدو.

يتذكر عمي يعقوبي وبعد أن أنهى مهمته الأولى بحفر مستشفى النبكة، كلفته الجبهة بحفر مستشفى آخر بعد أن أعجبت بإنجازه.

أرواحهم حاضرة لم تغادر الأمكنة

وفي غمرة الحديث تراءى لي طيف أحد المجاهدين وهو ممدود على حافة السرير الحجري والطبيب بصدد علاجه، حينها طلبت من عمي محمد أن يحدثني كيف كان يتم علاج المجاهدين هنا. أجابني بقوله: "مهمتي تكمن في عملية حفر وتهيئة الأمكنة لتحضيرها كملاجئ ومستشفيات لجيش التحرير" وكان ذلك في سنة 1958.

أما عن كيفية تلقيه الأوامر، ذكر "كانت تأتي في سرية تامة وهناك مجموعات من الفدائيين كل واحد منهم مكلف بمهمة، منها المؤونة "الرفيطايما" وهناك من توكل إليه مهمة ترصّد قوات العدو وتتبع أثرها وهناك من يقوم بجمع الاشتراكات، وهناك المكلف بالاتصال، ولا أحد من هؤلاء الأفراد يعرف عن مهمة زملائه حتى وإن قدر الله ووقع بين أيدي العدو وتحت طائلة التعذيب لا يعترف". ثم أشار إلى مكان يمتد على شكل سيف رملي وهو عبارة عن تلال لكثبان رملية بيضاء تحجب النظر وهي صعبة كثيرا، كانت قوات العدو تخاف المغامرة في هذه البيداء، حتى الجمال والعير تعجز على السير فيها لذلك سميت بالسيف.

النبكة... القاعدة التجارية لجيش التحرير

كانت جبهة التحرير وفي أواخر 1958 تملك قطعانا من الماشية والعير، كلها ترعى بهذه البراري ومازال من بين الرعاة من هم أحياء يرزقون إلى اليوم، وهي غنائم تحصيلها عن طريق الاشتراكات والزكاة و«العشور" وقد شجعت الفلاحين على زرع الأراضي ومكنتهم من العمل بها، فعمّ الخير المنطقة بشكل كبير وكانت الجبهة تسير الأمور من بعيد، وتمنح المواطن 5 فرنكات وهذا المبلغ كان ذا قيمة كبيرة بالنسبة لهم.

عندما يلتقي الواحد منا رفاق الأمس كأنه التقى والدته

«الدفلى تلد الدفلة والدفلة تمنحنا العسل"

ونحن نودعه كانت الدموع تسبقه للغوص في الحديث، فيتوقف برهة، يسترجع أنفاسه ثم يشدها وهو يتذكر رفاق الكفاح بعد مرور 60 سنة من اندلاع الثورة.

يقول، محبة كبيرة تجمعنا، نتقاسم كل صغيرة وكبيرة، كانت تصلهم الأخبار بأن جمال عبد الناصر سوف يلقي خطابا الليلة، يقول كنا نبحث عن شخص بإمكانه أن يفهمنا عن فحوى الخطاب، وعندما نسمع ذلك كنا نرى أن الاستقلال قريب منا. ليضيف، في إحدى المرات بينما هم مجتمعون في وادٍ يتساءلون من الذي استشهد أو الذي حكم عليه بالسجن ويتناقلون أخبار بعضهم ولما طال بهم الوقت، سألهم أحد المجاهدين بعدما شدّ قبضته على شجرة الدفلى، ما اسم هذه الشجرة؟ أجابوه طبعا هي الدفلى، "فقال لهم هذه الدفلى غدا تصير نخلة والنخلة تلد الدقلة والدقلة تجيب العسل" وهذا إيحاء عن بزوغ فجر استقلال الجزائر.

رحلة في ذاكرة الثورة مع الرائد لخضر بورقعة

أول نوفمبر صنع الهوية الوطنية بمعناها الواسع

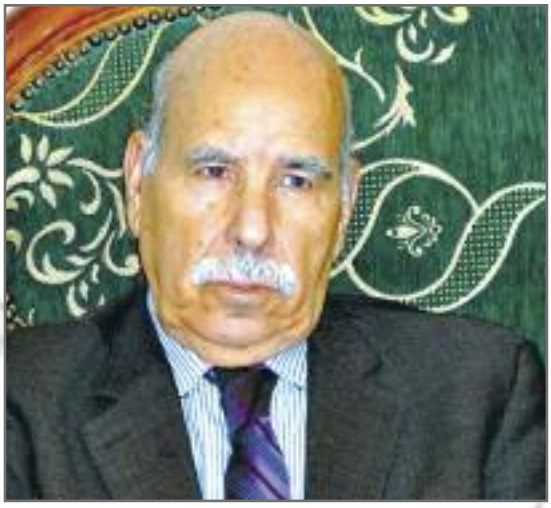

لم تنل السنون الطويلة من صفاء ذاكرة الرائد سي لخضر بورقعة الذي لبى دعوتنا لإجراء مقابلة صحفية لتسليط الضوء على جوانب عديدة من حرب التحرير الوطنية التي خاضها إلى جانب اخوانه بكل الشجاعة والاخلاص. لم يتغير الرجل فلا يزال وفيا لتلك القيم الراسخة من وضع مكسب السيادة والاستقلال فوق كل اعتبار وتمسك الى النخاع بالحرية والديمقراطية والاختلاف البنّاء، لكن يشغله كما كل ابناء جيله امر نقل رسالة نوفمبر الى الاجيال بما يضمن الاطمئنان التواصل وجعل الشهداء قاسمنا المشترك فيرتقي الخلف الى مستوى السلف. بعد مخالفة الموعد الاول، حرص بورقعة على التنقل شخصيا مقر الجريدة في موقف يعكس روح المبادرة للمساهمة في وضع القراء في صورة جوانب من تلك الحقبة العظيمة من تاريخنا.

سعيد بن عياد

لم تكن الثورة التحريرية مجرد حمل للبندقية في وجه الادارة الاستعمارية الفرنسية، انما كانت تحمل مشروع مجتمع برمته يعيد تصحيح مسار التاريخ ويسقط اكذوبة الجزائر فرنسية. لذلك كان رد فعل المستعمر، بالاحرى المستدمر، عنيفا الى ابعد الحدود فمارس جيوشه حرب ابادة شاملة بكل ما حملته من تعذيب ممنهج وتشريد ونهب وتنكيل في المحتشدات والمناطق المحرمة ومناورات فضحتها قيادة جيش وجبهة التحرير الوطني.

يؤكد الرائد بورقعة الذي ناضل وكافح ضمن الولاية الرابعة التاريخيةالتي تمتد على 75 الف كيلومتر مربع منها 300 على الساحل وحوالي 250 كلم في العمق حنوبا يقطعها الرجال مشيا على الاقدام ليلا، ان الثورة استمدت قوتها ومناعتها من روح الشعب الجزائري المثقل بعذابات المستعمر الغاشم. "كان الشعب مصدر القوة من حيث ضمان التموين والتمويل واحتضان ابنائه الذين اسقطوا اسطورة المحتل" يوضح محدثنا مضيفا " بداية من سنة 1957، فوجئنا بقرر العدو انشاء المناطق المحرمة لمحاولة عزل الثورة عن الشعب، لكن وبعد قضاء فترة صعبة جدا بدنيا ومعنويا بدا رجال جيش التحرير الوطني يتكيفون مع الوضع الجديد لتامين الماكل والدواء والاخبار حول تحركات العدو من خلال تنظيم محكم حقق تواجدا للثورة في كل مكان حتى داخل الفضاءات التي يحاصرها العدو. كانت لمراكز الاتصال المرنة والمتنقلة نجاعة فائقة كما لتركيبة القيادة فعالية في الميدان.

لم تكن الثورة مغامرة، لقد كنا على دراية بقوة العدو ولا احد يعرف تاريخ نهاية الثورة واننا الاضعف عدة وتجربة كما ان الخارج ينظر الينا، لذلك لم يكن من خيار سوى ان نفرض انفسنا على الارض من منطلق هدف واحد هو تحرير بلادنا من دنس الاستعمار، يضيف القائد بالمجلس العسكري لقيادة الولاية الرابعة التاريخية . لقد كانت المعركة الكبرى مع فرنسا الاستعمارية من اندلاع الثورة الى سنة 1956 حول من يكسب الشعب الى جانبه فكسبنا شعبنا بفضل النظام الثوري القريب من ابناء جلدتنا يقول الرائد بورقعة الى درجة الوقوف سدا منيعا في وجه حركات مناوئة للثورة التي حملت السلاح في وجه اشراف الجزائر.

يحرص بورقعة على اهمية تجاوز الحديث عن الثورة من حيث الاحداث الكبرى والبقاء عند المحطات التي اخذت حقها اعلاميا، والانتقال الى تشخيص وتدقيق التفاصيل التي غالبا ما حسمت المعارك العسكرية والسياسية وتجاهلها المؤرخون

للاسف، كما هو الامر بالنسبة لمشاركة المرأة في مسيرة الثورة بحجم اكبر بكثير مما يعلن عنه في المناسبات. لقد قامت المرأة الجزائرية في المداشر والقرى بادوار بطولية. ويقدم مثالا قلما يتوقف عنده الكثيرون في صورة تلك المراة التي تسقط بنيران العدو وينجو ابنها الذي تحمله على صدرها، فيواصل رضاعتها لاربع وعشرين ساعة وهي ميتة. فاي صورة اروع في الفداء والتضحية لامراة كهذه كافحت قبل وبعد المعركة. لذلك لم تكن الشجاعة مصدر تلك القوة كما يتداول عامل القوة وانما مصدرها الشعب، الذي منه التجنيد والتموين خاصة وان الجيش الفرنسي

وادواته فرضوا حصارا مغلقا على الجزائر.
مرت الثورة بالمراحل الاولى من اندلاعها الى مؤتمر الصومام في 20 اوت 1956، الذي انهت قراراته حالة غموض وعدم وضوح الرؤية خاصة وان عامل السرّية ضاعف من ذلك بقدر ما وفر تامين العمل. ذلك المناخ استغلته الحكومة الاستعمارية لتروج عبر اعلامها ادعاءات تصف الثورة بالاحداث. وبددت ارضية مؤتمر الصومام التي جاءت في وقتها ما كان يلوح من غموض وضخت اوكسجينا حيويا في صفوف المجاهدين وحاضنتهم الشعبية واظهرت الصورة ناصعة لدى الخارج اعلاميا ودبلوماسيا.
وهنا يصرح من كان في الميدان يدك مع رفاقه مواقع العدو ويزلزلون الارض من تحت اقدام جيوشه المدعومة باللفيف الاجنبي، بان من خططوا وانجزوا مؤتمر الصومام ليسوا من صنف الحكماء فقط بل ينبغي وصفهم بالشرفاء، فقد اعطوا بفضل التنظيم الجديد والقيادة المركزية الروح التي كاد ان يفقدها الرجال في لحظة معينة.
لقد كان ذلك النظام معقدا وفعالا يرتكز على مركزية القيادة وطنيا وحرية المبادرة محليا ضمن الولايات. كان نظام الثورة مركبا بشكل يصعب القضاء عليه يعتمد آلية الديمقراطية التي لا تنتظر التعليمات والاوامر الفوقية. يؤكد الرائد بورقعة بالقول"لم نكن ننتظر الاوامر من فوق، فهذا مستحيل، إنما يتم اتخاذ القرار وفقا لما يقدره المسؤولون في الميدان، فكل ولاية لها الحرية في التصرف ضمن اقليمها والتعاون بين الولايات اختياري حسب التقدير". ولم يكن مؤتمر الصومام صنيع شخص أو جماعة، إنما كان نتاج عمل جماعي لمبادرة تاريخية انارت الطريق الى الاستقلال.
بعد هذه المحطة تأكد العدو الاستعماري ان المرحلة ليست كسابقتها، وان الامر جدي للغاية وحسب رأيي يشير بورقعة فان الاستراتيجيين الاستعماريين ادركوا ان استقلال الجزائر قادم لا محالة بالنظر لانتشار العمل الثوري واستفحال اللهيب الحارق لكل شبر يتواجدون عليه. وبدأت فرنسا الاستعمارية تتخلى عن مستعمراتها وعينها على بلادنا لاهميتها من كافة الجوانب الى درجة قيام جنرالات كبار على محاولة الانقلاب على رئيسهم ديغول الذي اختارهم شخصيا لتنفيذ مشروعه الجهنمي لمحاولة كسر جيش التحرير الوطني واحباط جبهة التحرير الوطني ثم العمل يائسا للقضاء على الثورة

بورقعة خلال الثورة

مؤتمر الصومام لم يكن صنيع شخص أو جماعة إنما هو ثمرة عمل جماعي

الفريدة من نوعها. لقد فشل مشروعه العسكري فشلا ذريعا(عملية كورون بالغرب الولاية الخامسة جيمال بالولايةالثالثة ايتسال بالاوراس بيربريوس بالولايةالثانية). وفي الولاية الرابعة اطلق جنرالات ديغول عمليات جهنمية مثل كوروا-سيغال- المطرق- كوروا2.
كل ذلك وغيره زاد من صلابة الثوار الى درجة ان قبل اطلاق تلك العمليات الواسعة النطاق كان معدل عمليات وحدات جيش التحرير الوطني في حدود 100 عملية يوميا عبر الوطن وبعدها بأقل من سنتين ارتفعت الوتيرة الى معدل 340 عملية فدائية وقتالية يوميا في كل ارجاء التراب الوطني. وهي احصائيات يقر بها المستعمر نفسه. لما فشل البرنامج العسكري اخرج ديغول من حقيبته برنامجه السياسي لمحاولة انقاذ بلاده من اوحال المعركة القاسية التي كان لها النوفمبريون على درجة عالية من البطولة الى درجة انه في الفترة 1959 الى 1962 سقط حوالي 80 بالمائة من تعداد الشهداء الابرار، فقد القى العدو بكل ثقله في الحرب التي عرفت ضراوة لا توصف.
انها بحق ثورة فريدة استعصت على عدوها النيل منها او كسر عضد رجالها الذين سطروا الطريق نحو فجر الحرية والانعتاق، ليهبوا للأجيال أجمل هدية هي وديعة السيادة الوطنية بكل معانيها السامية لتكون تاجا على رؤوس الجزائريين. لقد امتزجت دماء الوطن الواحد الى درجة يقول الرائد لخضر بورقعة بعبارات خرجت من اعماق رجل يدرك قوة العبارة "ان الثورة صنعت الهوية الوطنية بمعناها الواسع" ويوضح بالقول كمثال" في 21 افريل 1959 بينما كان العدو يحاصرنا بمركز متقدم صعدنا الى تلة حيث قابلت الشهيد سي امحمد قائد الولاية الرابعة بجبل اللوح شمال قصر البخاري. لما أدركت أن الحصار يستهدف قائد الولاية وهيئة أركانه طلبت من الرجال الحضور، ناديت على عبد الله العنابي الذي التحق بصفوف جيش التحرير في 1958 مع رفيق من باتنة وآخر من خنشلة المدعو بلقاسم. امرته-وكان العنابي رياضيا نشيطا- بالذهاب مع فوجه في عملية للتمويه، وتشتيت انتباه القوات الفرنسية، فنفذ العملية مع تشكيلة تضم رجالا مقتدرين من مختلف ولايات الوطن استشهدوا كلهم في موقف يرمز للانتماء للجزائر، وفي 5 ماي سقط سي امحمد بوقرة شهيدا فلم يغادر المنطقة لايمانه بالبقاء وسط أولئك الأبطال الذين واصلوا مع إخوانهم المسيرة المظفرة إلى أن استرجع الشعب الجزائري السيادة لينعم بالحرية جيلا بعد جيل.

صرخاتهم- وهتافاتهم دوّت قاعات المرافعات الفرنسية..

المحكوم عليهم بالإعدام: لن نعترف بعد التكم الظالمة.. وأحكامكم الجائرة

بصرخات ترتعش لها الفرائص وبهتافات تقشعر لها الأبدان.. هزت عبارة لا نعترف بعد التكم أركان قاعات المرافعات الفرنسية من المحكوم عليهم بالإعدام من الجزائريين.. هي لحظات تاريخية حاسمة ومصيرية في آن واحد تجاه الذين مروا عبر المقصلة أو الذين نجوا من ذلك ومازالوا على قيد الحياة. أطال الله في أعمارهم.

جمال أوكيلي

مصطفى بودينة

لخلفي عبد الرحمن أعدم وعمره لا يتجاوز 19 سنة في حالة نفسية صعبة.. وفي موقف إنساني نادر لم يرضخ الجزائريون لمنطوق الحكم الظالم والجائر الصادر ضدهم.. بل يردون على القتلة بأننا لا نعبأ بحكم الإعدام، بقدر ما يهمنا استقلال بلادنا.. وتخليصها من هذا الاحتلال الهمجي الذي عمّر 130 سنة.

وبالرغم من قساوة الحكم.. كان إيمان الجزائريين أقوى من تلك المقصلة التي تقطع الرؤوس، لأنهم حفظوا عن ظهر قلب مقولة مؤثرة كان يرددها إخوانهم.. أجمل نهاية.. لأجمل حياة.. هي الموت من أجل الوطن.. كان هذا شعارهم وهم في «أروقة الموت» يُجرجرون بالقوة.. وهم مكبّلون بالأصفاد.. لوضع أعناقهم تحت تلك الآلة الحادة..

ما يتبادر إلى أذهانهم في تلك اللحظة هي الجزائر.. وصاياهم، أن نحافظ على هذا البلد مهما كان الأمر.. وطرد هذا المحتل الغاشم بمزيد من التضحيات الجسام.. ثم تأتي الأم الحنون لإبلاغهم سلام إنها الذي

> **.. لم يطلبوا أبدا العفو من ديغول**

أعدمته فرنسا.

إنها حالات لمناضلين جزائريين أشداء على الأعداء.. لا يخيفهم هذيان الجلادين الذين يقودونهم إلى المقصلة تحت الضرب المبرح.. والشتائم وغيرها من سلوكات مجرمي حرب..

مارسوا أبشع الممارسات النفسية ضد المحكوم عليهم.. باستفزازهم عن طريق تحريك أقفال الأبواب الحديدية في ساعات متأخرة من الليل.. في كل هنيهة كل واحد يعتقد أن دوره وصل.. في الوقت الذي كان فيه المحكوم عليهم لا ينامون أبداً.. بل يتحلون باليقظة والحذر في كل الأوقات ولا يغوصون في الكرى.. كل واحد منهم يشتغل بأمر معين.. لأن الإعدام كان مباغتا ويبدأ الساعة الرابعة صباحا فما فوق.. وعند سماع تلك الخطوات القادمة يستعد الجميع هاتفين بحياة الجزائر.. لحظة أخذ واحد من زملائهم ونقله إلى المقصلة.

لا يوجد وصف لهؤلاء الأسود الذين وقفوا سدّا منيعا لهذا الاحتلال.. عندما يسيرون في الرواق باتجاه الموت من أجل قضية آمنوا بها إيمانا راسخا.. وقدموا حياتهم فداء لها.. وقبل استشهادهم يوصون «بحفظ الأمانة».. عملوا كل ما في وسعهم للقول لفرنسا إن مصيرها في الجزائر مسألة وقت.. بالرغم من الإعدامات المتكررة والجماعية التي حدثت في يوم من أيام 11 فيفري 1957، ثلاثة مناضلين أعدموا مرة واحدة وهم، فرناند ايفتون ولخناش محمد مزيان، ونوري محمد كلهم على الساعة الخامسة صباحا.. وبتاريخ 8 أفريل 1957 نفذ الحكم بالإعدام في ثلاثة مناضلين آخرين بابوش محمد السعيد ومنصري عمار ولوني أرزقي وفي 20 جوان 1957 أربعة مناضلين قطعت رؤوسهم وهم: تواتي سعيد وراضي احميدة ولكحل بوعلام وبن لامين محند امزيان.

نفس العمل الإجرامي نفذ ضد 4 مناضلين في 22 جوان 1957 وهم: فراج مخلوف وحميدة

شهيدا المقصلة أحمد زبانا وعبد القادر فراج

عبد الرزاق وقاسم محمد الصغير والعربي جعفر.. وفي نفس اليوم أعدم المناضل بن علوة محمد رميا بالرصاص بالخروبة.

ومنذ تاريخ إعدام زبانة في 19 جوان 1956 بسركاجي على الساعة الرابعة صباحا.. وذاكرة الجزائريين في تواصل مع هؤلاء.. قلوبهم تعتصر ألما وغيظا على الأساليب المستعملة ضد هؤلاء المناضلين الأحرار والأبطال.. حتى وهم يُقادون إلى «الموت» يتعرضون لشتى الاعتداءات الجسدية والشتم في محاولة التأثير عليهم نفسيا.. والإحباط من معنوياتهم العالية..

ولم يستسلم الجزائريون أبدا.. لهؤلاء، بل ما ان يجهزوا على المعني بالإعدام إلا ويصطدمون بمقاولة شديدة ومعركة حامية.. عندما اقتحم الحراس زنزانة لوني أرزقي وجد نفسه وجها لوجه معهم.. ودون أن يُنتبه إليه كانت بيده آلة حادة ضرب بها أحد الحراس.. نفس الإرادة كانت لدى باقي المحكوم عليم بالإعدام إلى آخر لحظة من حياتهم.. وهم يدافعون عن الجزائر سواء بالكلام أم بالاحتكاك بهم.

والقصة الأكثر تأثيرا تلك التي تروى عن المناضل لخلفي عبد الرحمان في سجن «فورمون لوك» بفرنسا، الذي كان عمره آنذاك 19 سنة، كان يقول لزملائه إن ديغول لا يجرؤ على إعدامه، نظرا لسنّه.. كان يحلم بالعيش في جزائر حرة ومستقلة.

ورغم تدخلات قادة العالم آنذاك: خروتشوف، نهرو، إزنهاور، البابا، بورقيبة، محمد الخامس وغيرهم.. إلا أن ديغول لم يأبه لهم.. وكان مصيره مصير إخوانه الذين استشهدوا من أجل الجزائر.

هكذا كان حقد الفرنسيين وعدالتهم على الجزائريين ولم يكن أي فرق بين القتلة والمجرمين من السياسيين كـ«ميتران ومينوري وغيار وديغول" الذين أعدموا 218 جزائري (171 إعدام بالمقصلة، 42 إعداما رميا بالرصاص، و4 أحرقوا أحياء في مدينة وهران من قبل المنظمة الإرهابية «أو.أ.أس» وهم: حمداني عدة، هواري قراب، وعاود بن جباي المدعو صبرية وأحمد فريح.. وهذا عندما اختطفوا من قبل أشخاص بزي الدرك، وواحد توفي في السجن.

> **"كلامهم الأخير... تحيا الجزائر"**

بودينة.. الناجي من المقصلة

المناضل مصطفى بودينة نجا بأعجوبة من الإعدام بسجن فورمون لوك، بليون، كونه أشرف مباشرة على فوج العمليات الفدائية بفرنسا.. لم ينم طيلة 700 ليلة.. وهو ينتظر تلك اللحظة التي تقتحم فيها زنزانته من أجل اقتياده إلى المصير المحتوم.. إلا أن يوم 11 ماي 1962 كان بردا وسلاما على مصطفى الذي أفرج عنه.. متخلصا من كل كوابيس رواق الموت.. وجنون الحراس وهوس الجلادين الذين يتلذذون في قطع أعناق رجال صناديد.. صدقوا ما عهدوا الله عليه.

منذ نعومة أظافر هذا الرجل وهو يفكر في الالتحاق بالثورة من تاكسانة بحيجل إلى فرنسا.. حب الجزائر كان يغلي في دمه.. لما وقف عليه من ظلم ارتكب بحق هذا

زنزانات تحولت إلى مدرسة للوطنية

لخلفي عبد الرحمن أعدم وعمره لا يتجاوز 19 سنة في حالة نفسية صعبة.. وفي موقف إنساني نادر لم يرضخ الجزائريون لمنطوق الحكم الظالم والجائر الصادر ضدهم.. بل يردون على القتلة بأننا لا نعبأ بحكم الإعدام، بقدر ما يهمنا استقلال بلادنا.. وتخليصها من هذا الاحتلال الهمجي الذي عمّر 130 سنة.

وبالرغم من قساوة الحكم.. كان إيمان الجزائريين أقوى من تلك المقصلة التي تقطع الرؤوس، لأنهم حفظوا عن ظهر قلب مقولة مؤثرة كان يرددها إخوانهم.. أجمل نهاية.. لأجمل حياة.. هي الموت من أجل الوطن.. كان هذا شعارهم وهم في «أروقة الموت» يُجرجرون بالقوة.. وهم مكبّلون بالأصفاد.. لوضع أعناقهم تحت تلك الآلة الحادة..

ما يتبادر إلى أذهانهم في تلك اللحظة هي الجزائر.. وصاياهم، أن نحافظ على هذا البلد مهما كان الأمر.. وطرد هذا المحتل الغاشم بمزيد من التضحيات الجسام.. ثم تأتي الأم الحنون لإبلاغهم سلام إبنها الذي أعدمته فرنسا.

إنها حالات لمناضلين جزائريين أشداء على الأعداء.. لا يخيفهم هذيان الجلادين الذين يقودونهم إلى المقصلة تحت الضرب المبرح.. والشتائم وغيرها من سلوكات مجرمي حرب..

مارسوا أبشع الممارسات النفسية ضد المحكوم عليهم.. باستفزازهم عن طريق تحريك أقفال الأبواب الحديدية في ساعات متأخرة من الليل.. في كل هنيهة كل واحد يعتقد أن دوره وصل.. في الوقت الذي كان فيه المحكوم عليهم لا ينامون أبداً.. بل يتحلون باليقظة والحذر في كل الأوقات ولا يغوصون في الكرى.. كل واحد منهم يشتغل بأمر معين.. لأن الإعدام كان مباغتا ويبدأ الساعة الرابعة صباحا فما فوق.. وعند سماع تلك الخطوات القادمة يستعد الجميع هاتفين بحياة الجزائر.. لحظة أخذ واحد من زملائهم ونقله إلى المقصلة.

> رجال صناديد تحدوا جلاديهم ومقصلتهم

لا يوجد وصف لهؤلاء الأسود الذين وقفوا سدّا منيعا لهذا الاحتلال.. عندما يسيرون في الرواق باتجاه الموت من أجل قضية آمنوا بها إيمانا راسخا.. وقدموا حياتهم فداء لها.. وقبل استشهادهم يوصون «بحفظ الأمانة».. عملوا كل ما في وسعهم للقول لفرنسا إن مصيرها في الجزائر مسألة وقت.. بالرغم من الإعدامات المتكررة والجماعية التي حدثت في يوم من أيام 11 فيفري 1957، ثلاثة مناضلين أعدموا مرة واحدة وهم، فرناند ايفتون ولخناش محمد مزيان، ونوري محمد كلهم على الساعة الخامسة صباحا.. وبتاريخ 8 أفريل 1957 نفذ الحكم بالإعدام في ثلاثة مناضلين آخرين بابوش محمد السعيد ومنصري عمار ولوني أرزقي وفي 20 جوان 1957 أربعة مناضلين قطعت رؤوسهم وهم: تواتي سعيد وراضي احميدة ولكحل بوعلام وبن لامين محند امزيان.

نفس العمل الإجرامي نفذ ضد 4 مناضلين في 22 جوان 1957 وهم: فراج مخلوف وحميدة عبد الرزاق وقاسم محمد الصغير والعربي جعفر.. وفي نفس اليوم أعدم المناضل بن علوة محمد رميا بالرصاص بالخروبة.

ومنذ تاريخ إعدام زبانة في 19 جوان 1956 بسركاجي على الساعة الرابعة صباحا.. وذاكرة الجزائريين في تواصل مع هؤلاء.. قلوبهم تعتصر ألما وغيظا على الأساليب المستعملة ضد هؤلاء المناضلين الأحرار والأبطال.. حتى وهم يُقادون إلى «الموت» يتعرضون لشتى الاعتداءات الجسدية والشتم في محاولة التأثير عليهم نفسيا.. والإحباط من معنوياتهم العالية..

ولم يستسلم الجزائريون أبدا.. لهؤلاء، بل ما ان يجهزوا على المعني بالإعدام إلا ويصطدمون بمقاولة شديدة ومعركة حامية.. عندما اقتحم الحراس زنزانة لوني أرزقي وجد نفسه وجها لوجه معهم.. ودون أن يُنتبه إليه كانت بيده آلة حادة ضرب بها

جرائم التفجيرات الفرنسية برقان تلاحق مرتكبيها

30 معاقا يعانون عاهات وتشوهات خلقية بقصر تعرابت

التفجير قدر بثلاثة أضعاف قنبلة هيروشيما

كانت القنبلة النووية برقان حدّا فاصلا بين زمنين وهما انضمام فرنسا للنادي النووي العالمي وانضمام رقان إلى ضحايا الإشعاعات والإبادة، التي بدأت تنكشف بعد 50 عاما. ففي 13 فبراير 1960، فجرت فرنسا أول قنبلة نووية بالصحراء الجزائرية بمنطقة "حمودية" على بعد 60 كلم جنوب رقان، بولاية أدرار، في أقصى الجنوب الغربي للجزائر. وبعد تحضيرات دامت 03 سنوات، قرر الفرنسيون تفجير القنبلة النووية برقان في جوان 1957 بتجنيد 6500 شخص واستعمال 42 ألف نسمة من سكان رقان فئران تجارب لهذه الجريمة النووية. تقدر القوة التفجيرية للقنبلة النووية الفرنسية برقان بثلاثة أضعاف القنبلة التي ألقاها الأمريكان على مدينة هيروشيما اليابانية.

عقيدي فاتح

كان عمي الحاج حمو بمنطقة تيلولين، زاوية كنتة، أحد شهود عيان على هذه الجريمة البشعة وهو شيخ بلغ من العمر عتيا وأنهكه المرض. تذكر كيف استغله الفرنسيون، كونه عاملا مهنيا، حيث اشتغل لمدة عامين بمنطقة حمودية برقان قائلا: كنت أعمل بمنطقة تدعى "التارقية" وجاء الفرنسيون بالقنبلة الأولى وحفروا لها ووضعوا عليها الحديد ومن ثمة أصبحت المنطقة ورشة اشغال. بدأنا نحفر ونربط أسلاك الحديد، في تلك الأثناء كان خوف ينتاب العسكريين، في حين كنا نعمل بأريحية. ولما انتهي من إنجاز الورشة تم ربطها بكوابل من نحاس كبيرة، واحضروا البشر من مختلف المناطق والخرفان والأرانب وأخبرونا بموعد التفجير ومنحوا لكل منا سلسلة تحتوي على رقم توضع في الرقبة، كما زوّدونا بتعليمات عند سماع «01، 02، 03» أثناءها سمع دوي انفجار مرعب لم تسمعه أذناي قط في حياتي.

كما لاحظ الحاج حمو، تنقل خبراء إلى المنطقة لقياس الإشعاعات استغرق ذلك أياما عديدة في 13 فيفري 1960. وقال المتحدث إن المنطقة كان يحروسها أناس مختصون يرتدون بذلات بيضاء ويضعون قبعات ونظارات وأحذية خاصة.

من جهته نفى سيد عمر الهامل، رئيس جمعية 13 فيفري 1960، الادّعاءات الفرنسية بشأن اختيار رقان لكونها منطقة صحراوية وخالية من السكان. وقال إن رقان وجدت قبل فرنسا تاريخيا وإن المنطقة اُختيرت لاعتبارات استراتيجية، كونها ذات طبيعة صحراوية وبيئية نظيفة، حيث كانت بالمنطقة فقرات قديمة، زوايا ومقاومون، وهناك نخيل وواحات كانت تمد المناطق المجاورة بالتمور عن طريق تجارة المقايضة، آهلة بالسكان، فضلا عن أنها مأهولة بأزيد من 40 ألف نسمة، وتعد نقطة ربط بين الجزائر وإفريقيا مما يجعل أثار الإشعاعات تتنقل لمسافات بعيدة. وهذا رغم محاولة التكتم على هذا الموضوع والذي جعلته فرنسا سرا عسكريا حتى لا يكتشفه أحد.

خطورة الجريمة تكمن في استهدافها فئات عديدة من العمال والمعتقلين والسكان، فضلا عن تأثيراتها على البيئة والفلاحة، كما تسببت الإشعاعات في انتشار مرض السرطان الذي أصاب فئات عديدة وشرائح مختلفة من سكان رقان والمناطق المجاورة بعاهات وتشوهات خلقية.

بدوره يحصي قصر تعرابت ببلدية رقان، أزيد من 30 معاقا إعاقة حركية ومن الصم البكم ومصابين بأمراض سرطانية مخيفة مست فئة الأطفال الأبرياء.

وأوضح رئيس جمعية حي قصر تعرابت، محمد خالدي، أن عدد المعاقين بتعرابت يفوق الثلاثين هذا بالنسبة للقصر فقط. أما إذا تحدثنا عن المعاقين بدائرة رقان، فهم كثيرون وهم يعانون في صمت، لذلك – يقول – نناشد السلطات المحلية بضرورة إنجاز مركز لتعليم فئة الصم البكم على مستوى بلدية رقان.

وبحسب الدكتور: "مصطفى أوسيدهم"، طبيب عام بمستشفى رقان مكلف بمصلحة علاج أمراض السرطان، فإن السنوات الأخيرة سجلت معدلات متزايدة في أمراض السرطان بمختلف أنواعه، بما في ذلك سرطان الرئة والثدي والرحم.

وما ضاعف من صعوبة التكفل بهؤلاء المرضى المصابين تقنيا، غياب أرشيف حول القنبلة النووية المفجرة في رقان وسجّل إحصاء السكان والمتضررين، خصوصا ما تعلق بالسجل الصحي حول أمراض السرطان.

الأسلوب الآخر لمقاومة الإستعمار..

التعليم الحر حصن منيع.. ورافد من روافد دعم الثورة

من بين النقاط التي ركزت عليها فرنسا الاستعمارية في الجزائر، محاولة طمس الهوية الوطنية ومحو تاريخ الشعب الجزائري العريق وتشويه أصالته وعروبته في أذهان أبنائه، خاصة الأجيال الصاعدة، في محاولة يائسة منها لزرع فكرها الاستعماري وتمكين عرَابيه من التحكم فيهم وإبقائهم تحت السيطرة المطلقة والاستعباد. وهو المشروع الذي تصدى له الثوار والوطنيون من أبناء الأمة وعلى رأسهم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي فهم أعضاؤها أن الوسيلة الوحيدة لإحباط مؤامرة المستعمر هو إنشاء منظومة تربوية جزائرية عربية إسلامية ومدارس حرة تصوّب المسار وتلقّن للنشء الصاعد أن «شعب الجزائر مسلم وإلى العروبة ينتمي».

حبيبة غريب

نشر الوعي السياسي والحفاظ على الانتماء الوطني

وساهمت المدارس الحرة في استرجاع الانتماء الوطني والهوية الجزائرية، وشكلت خلال ثورة التحرير الوطني قاعدة هامة لنشر الوعي الثوري، إذ تجنّد مدرسوها ومدرساتها، بالرغم من صغر سنّهم، لمساعدة جبهة التحرير الوطني بجمعهم التبرعات وتوزيع المناشير وانخراط الكثير منهم في جيش التحرير الوطني وكان الثمن غاليا، حيث تعرض الكثير منهم للاضطهاد والتعذيب وحتى الإعدام.

والمتصفّح لكتاب "المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر بالجزائر"، بأجزائه الثلاثة، يسافر مع مؤلفه المرحوم محمد الحسن فضلاء في حنايا تجربة ناجحة يفتخر ويعتز بها تاريخ التعليم الجزائري، انطلاقا من قرار جمعية العلماء المسلمين بإنشاء المدرسة الجزائرية الحرة في سنة 1933 والانتقال من التعليم في الزوايا والكتاتيب إلى ترسيخ وتجسيد مشروع تدريس ممنهج يسير وفقا لبرنامج بيداغوجي عصري ونظام داخلي محكم، حرصه الأول والأخير زرع روح الهوية الجزائرية العربية المسلمة والوطنية في أبناء وبنات الشعب الجزائري.

ويعتبر الكاتب واحدا من الذين واكبوا المدارس الحرة منذ نشأتها، حيث صنّفها في البحث الذي أجراه بعد الاستقلال وتناولها في كتابه القيم، في مؤسسات تعليمية عصرية وزعت على 3 عمالات؛ أي القطاع القسنطيني، قطاع الجزائر والقطاع الوهراني، هذا حسب التقسيم الإداري للبلاد آنذاك.

وفاق مجموع المدارس التي أحصاها محمد الحسن فضلاء في بحثه 200 مؤسسة، اعتمد في تسييرها على نظام الجمعية الخيرية التي كانت تتكون من الأعيان والشيوخ والتي ساهمت أيضا بقسط كبير في مساعدة الفقراء والمساكين.

وإن كانت المدرسة الحرة الجزائرية في بدايتها حريصة على ترسيخ قيم الدين الإسلامي واللغة العربية وعلى تشجيع تعليم البنات، فقد كانت سبّاقة في تلبية نداء أول نوفمبر والمشاركة في تدعيم صفوف جيش التحرير الوطني وتعزيز صلب جبهة التحرير الوطني.

وتجاوب مسيّروها ومعلموها وتلاميذها للنداء الذي أطلقه العلامة عبد الحميد بن باديس بمناسبة أول نوفمبر، الذي خاطبهم من خلاله قائلا: «إنكم مع فرنسا في موقف لا خيار فيه، ونهايته الموت، فاختاروا ميتة الشرف على حياة العبودية التي هي شرّ من الموت.

إنكم كتبتم البسملة بالدماء في صفحة الجهاد الطويلة العريضة، فاملأوها بآيات البطولة التي هي شعاركم في التاريخ، وهي إرث العروبة والإسلام فيكم».

شهداء ومجاهدو الإصلاح

والملفت للنظر، أن لكل مدرسة من المدارس العديدة المذكورة في كتاب فضلاء، قصة مميّزة في النضال الثوري والواجب الوطني ووقفة تاريخية لمآثر وبطولات أساتذتها الذين سجلوا أسماءهم في قوائم شهداء ثورة التحرير الوطني المجيدة بأحرف من ذهب.

وقد أطلق عليهم المؤلف في كتابه اسم «شهداء الإصلاح» وقال فيهم: «من بين هؤلاء الشهداء الأعلام أساتذة ومعلمون سقطوا في ميادين البطولة والشرف، دفاعا عن الوطن المفدّى. والذين أذكرهم هنا، إنما هو قطرة من يمّ، وطائفة من عرمرم، فمنهم من اعتقلوا وعذبوا أشنع تعذيب تم أعدموا في أماكن معروفة أو مجهولة، ومنهم من سقطوا في معارك الكرامة وهم يحاربون في الجبال والهضاب والتلال».

كما زكى المؤلف تضحياتهم النبيلة بشهادته قائلا: «هؤلاء هم الذين كانوا ينفخون معاني البطولة والشهامة والوطنية في صدور الناشئة الجزائرية ويوقدون في الأجيال المتعاقبة عقولا نيّرة وأفكارا جديدة... أوذوا في سبيل الله، وفي سبيل نشر العربية والإسلام».

ومن بين شهداء الإصلاح الشيخ العربي التبسي مدير معهد عبد الحميد بن باديس في قسنطينة، محمد الأمين العمودي، أحمد رضا حوحو، عبد المالك فضلاء مدير مدرسة التربية والتعليم بتازمالت، باتنة - وعبد الحفيظ بوضياف من مدرسة الفتح بسطيف، علي بن حالة، مدرسة الفلاح ببئر خادم بالعاصمة وبوراس بكير، مدرسة الرستمية بتيارت، محمد الطاهر الصنهاجي، مدرسة الفلاح بوهران، عيسى معتوقي مدير مدرسة إحياء العلوم بالعلمة، ومحمد عباس مدرسة التربية والتعليم بعزازقة وغيرهم من الشرفاء البررة....

وإلى جانب الشهداء «أنجبت» المدارس الحرة مجاهدين وقادة أشداء عززوا صفوف جيش التحرير الوطنية والمنظمة المدنية لجبهة التحرير الوطني، وكان لمن لم يلق حتفه شأن كبير بعد الاستقلال، إذ واصلوا عزمهم ومسيرتهم على أن تحيا وتنهض الجزائر الحرة السيّدة والمستقلة، فكان منهم الأستاذ والطبيب والمهندس والسياسي والقائد العسكري والوزير.

سفر في ذاكرة تلميذة ومدرسة حرة .. السيدة بيرم ميجاك غنية

لباس العروض المسرحية وفرق الأناشيد بألوان العلم الجزائري

كم يحلو الرجوع بالزمن إلى الوراء والسفر في ذاكرة وذكريات إحدى تلميذات ومدرسات المدرسة الحرة الجزائرية، التي تقلدت أول منصب لها وهي ابنة 15 ربيعا ولا تزال تواصل دراستها لنيل شهادة التعليم المتوسط.

حبيبة غريب

تجربة غنية بالتحديات وحب الوطن تقاسمتها معنا السيدة غنية بيرم ميجاك، التي ترعرعت في كنف عائلة محافظة ووطنية دفعت بالعديد من أبنائها فداءً لتحرير الوطن.

ولدت ونشأت في حي القصبة العتيق، حيث كانت بدايتها مع الدراسة بالمدرسة الحرة "التهذيب" سنة 1947، إلى أن أصبحت بدورها ضمن فوج المدرسين الصغار الذين تقلدوا مهام التدريس وهم يحضرون لشهادة الابتدائية وكي يخلفوا أساتذتهم الذين غرت بهم فرنسا وقتلتهم وكان ذلك في سنة 1956.

الحديث معها شيّق وهي تسترجع ذكريات مرت عليها 60 سنة، تطرقت من خلالها الى مدارس "الرشاد" بحي عمارة علي، "الصباح" بالقصبة، "الخلدونية" بباب الجديد، "الشبيبة (أ)" و«الشبيبة (ب)" وقد درّس بالأولى كل من عبد الرحمان الجيلالي، الأخضر السائحي ومحمد الحسن فضلاء.

تقول السيدة غنية، إن هذه المدارس كانت "تدرس فيها اللغتان العربية والفرنسية والحساب والتربية الدينية والتاريخ والجغرافيا، كما كانت هناك حصة المحفوظات التي كنا نتعلم من خلالها الأناشيد الوطنية إلى غيرها من المواد التي كانت معظمها تتطرق إلى الوطنية وإلى الجزائر وخارطتها وعلمها وتاريخها الذي لم يكن موجودا في كتب الإدارة الفرنسية".

وكانت أناشيد: «عليك منّي سلام يا أرض أجدادي، ودمت يا بيضاء ما دام الزمن، بلادي، هيا إلى الأمام يا جيل الشباب» وغيرها... تعلّم للتلاميذ الذين كانوا يرددونها بفخر، وكان التقليد أن يقوم كل يوم تلاميذ قسم من الأقسام بالدوران في الساحة وهم يؤدون أحد الأناشيد، في حين يقصد التلاميذ الأخرون أقسامهم.

وكنا نستعمل كتيّبا جمع فيه الأستاذ الفاضل الصالح صالح رمضان كل هذه الأناشيد وحفظها للذاكرة، إلى أن جاء نشيد قسماً الذي كان ترديده في المدارس يثير غضب وسخط العساكر الفرنسية وأصبحت تقتحم المدارس ومع تصاعد عملية انخراط الأساتذة وخريجي المدارس الحرة في النضال وصفوف جبهة التحرير وجيش التحرير الوطني.

ترديد النشيد «قسماً» كان يثير غضب الفرنسيين

صفي الأول بالمدرسة الخيرية

كان أول لقاء لي بالتعليم الحر في مدرسة الخيرية بالقصبة، التابعة لمدرسة الشبيبة، والتي كانت المعلمات بها تلبسن "الثوب" أو "الحايك"، أذكر منهن فتيحة موازيري، آسيا زناني، زهية تقليت، زهية غازي، الزهرة صمغوني وفريدة سكير.

وكانت المدرسة عبارة عن بناية على الطراز التركي، أقسامها مجهزة بطريقة عصرية، تسيّر وفق برنامج بيداغوجي يواكب المدارس بمصر وسوريا وتونس.

وكان القائمون عليها يعتمدون على كتب بالعربية صادرة في المشرق العربي. لكن اجتهاد وتفاني جمعية العلماء المسلمين والأساتذة الأحرار لم ينته عند هذا الحد، بل كانت هناك قاعدة معتمدة في كل المدارس وهي أن يفتتح كل مدرّس أو مدرسة الحصة بخمس دقائق تخصص للأخلاق الحميدة وللتربية الوطنية وكانوا يحدثوننا عن الجزائر ويرسمون لنا خارطتها على السبورة والعلم الجزائر بألوانه الزاهية، هذا العلم الذي لم نكن نجده في الكتب المدرسية الفرنسية.

وبعد استشهاد علي "لبوانت" وأصدقائه، اقتحمت القوات الفرنسية المدرسة واتخذتها مقرا لها، وقامت بتخريب وحرق كل الأرشيف بها.

ومن بين الأشياء الرائعة التي اختزنتها ذاكرة السيدة ميجاك، الاستعدادات لإحياء الحفلات والنشاطات المدرسية في آخر السنة وبمناسبة الأعياد الدينية والتي كانت توظف مجهودات جبارة لإنجاحها وتقديم عروضها للحضور من أولياء التلاميذ وأعيان المدينة.

وكانت المدرسات، تقول السيدة غنية، "تحرصن كل الحرص على أن تحمل ألبسة العروض المسرحية وفرق الأناشيد الألوان الوطنية، الأبيض والأخضر والأحمر، وكنّا نضع على رؤوسنا تيجانا من القطيفة، طرزت عليها نجمة وهلال باللون الأحمر، كما كانت مواضيع العروض والأناشيد تتحدث كلها عن الوطن والانتماء والحرية والعربية والإسلام".

وأضافت الأستاذة غنية، أن الأعياد الدينية كانت أيضا مناسبة لمسيري المدارس الحرة لإطلاق عمليات خيرية لفائدة المحتاجين، فكانت تقدم لهم الألبسة والمأكولات، خاصة بمناسبة المولد النبوي، عيد الفطر والعيد الأضحى وعاشوراء.

الالتحاق بركب النضال وبذل التضحيات

وجاءت سنة 1954 حيث نظمت جمعية العلماء المسلمين امتحانات الشهادة الابتدائية للمرة الأولى في تاريخ المدرسة الحرة. وكان الشرف لأول باكورة لهذا الامتحان، بأن كلفوا بمهمة التدريس في المدارس التي أعدّتهم وهم لايزالون أبناء 14 و15 و16 سنة.

وتزامن ذلك وانطلاق الشرارة الأولى لثورة التحرير الوطني، التي واكب ركبها العديد من أساتذة ومعلمي ومديري وتلاميذ المدارس الحرة، الذين لم يتوانوا عن التضحية بالغالي والنفيس من أجل استقلال الجزائر.

وقد عيّنت، تقول السيدة غنية، بمدرسة «التهذيب» وكانت تحت إشراف الأستاذ المرحوم محمد الحسن فضلاء، «وبدأتُ وأنا ابنة 15 سنة في سنة 1955-1956 في تعليم الأطفال الأصغر سنّا، وكانت لي قصة يوما مع الاستعمار الفرنسي بسبب نشيد قسماً، إذ أمرتُ تلاميذ قسمي بترديده عند مرور دورية بالقرب من المدرسة، فقاموا باقتيادي إلى ثكنتهم والتحقيق معي طول النهار، ليتم إطلاق سراحي وإجباري على المغادرة وأنا أحمل كيسين من الرمل على رأسي».

ولابد من شهادة، أن "المدرسة الحرة الجزائرية قد لعبت دورا هاما وفعالا في نشر المعرفة والحفاظ على اللغة العربية والمبادئ الإسلامية للشعب الجزائري، بل ساهمت وبقوة في التوعية الوطنية والتجنيد والتعبئة في صفوف جيش التحرير الوطني، فكنا كمعلمين، نقوم أيضا بجمع التبرعات من المنازل لفائدة جبهة التحرير الوطنية وننقل ونوزع البيانات.

وحارب وناضل العديد كما عذب وسجن واستشهد العديد أيضا، أذكر منهم زهية تغليت، زهرة سمغوني التي كان بيتهما ملجأ للثوار، والشهيدة وريدة مداد التي عانت من ويلات التعذيب قبل استشهادها وفريدة سحنون وغيرهن من الشهيدات والشهداء البررة.

وثيقة

النقابة الوطنية لناشري الكتب

خدمة الكتاب .... المسيرة والانجازات

حملت النقابة الوطنية لناشري الكتب على عاتقها هموم الكتاب الجزائري، إصدارا نشرا وتوزيعا، وقد بذلت أقصى جهودها ولا تزال تواصل عملها من أجل وصول الكتاب إلى القارئ، وتقديم خدمة ثقافية نوعية للمواطن الجزائري في كل مناطق الوطن، وهي تشق طريقها نحو العمل على توفير الظروف المناسبة، لتأسيس صناعة حقيقية للكتاب، تساهم في التنمية الوطنية الشاملة، معتمدة على المناخ العام المساعد اليوم على تحقيق الأهداف المسطرة.

بعد غياب 12 سنة الباهية تحتضن الطبعة الـ10 للمعرض الوطني للكتاب

الندوة الدولية لصناعة وترقية الكتاب

تحت الرعاية السامية لفخامة رئيس الجمهورية، نظمت النقابة الوطنية لناشري الكتب شهر فيفري 2010 فعاليات الندوة الوطنية الأولى لصناعة وترقية الكتاب بالجزائر هذه الندوة حضرها ناشرون وكتاب ومكتبيون جزائريون واجانب منهم الأستاذ محمد علي بيضون أمين عام اتحاد الناشرين والدكتور محمد عدنان سالم رئيس اتحاد الناشرين السوريين والأستاذ عبد الرحيم محمد مكاوي رئيس اتحاد الناشرين السودانيين والأستاذ الطيب ولد لعروسي مدير مكتبة العالم العربي بباريس.

افتتح الندوة السيد أحمد ماضي، رئيس نقابة ناشري الكتب، إذ رحب بالضيوف وأثنى على الحاضرين قبولهم الدعوة واهتماماهم بالكتاب صانع الحضارة، ليتحدث عن الأهمية الخاصة التي يوليها رئيس الجمهورية للكتاب ومنها اسباغ رعايته المباشرة لهذه الندوة وبعدها دعا الناشرين وكافة الفاعلين في ميدان الكتاب ليطلعوا بمسؤوليتهم في المساهمة في تحقيق الحلم الذي طالما راودهم وهو «مكتبة في كل بيت وكتاب في كل يد» ولإعطاء الكتاب مكانته الأساسية، بعدها تحدث الأستاذ محمد علي بيضون رئيس اتحاد الناشرين العرب عن الحركية التي يعرفها الكتاب مؤخرا سواء في الجزائر أو الوطن العربي على العموم .

من جهته الدكتور محمد عدنان سالم رئيس اتحاد الناشرين السوريين ورئيس دار الفكر فدعا في كلمة موجزة ودقيقة الناشرين أن يحملوا رسالة تنوير المجتمع كاملة من خلال نشر الكتاب وأن لاتطغى مصالحهم التجارية على هذه الرسالة، فبعدما تمكن أبناء الجزائر من»تقديم مليون شهيد لتحرير الإنسان من ربقة الإستعمار فهاهي الجزائر تستأنف دورها الريادي لتحرير الإنسان العربي من ربقة الجهل» كما ركز على أهمية الرسالة المنوطة بالناشرين لدعم الأعمال الفكرية الجادة لصناعة إنسان معاصر يعيش تحديات عصره، بعدها تحدث الأستاذ عبد الرحيم محمد مكاوي رئيس اتحاد الناشرين السودانيين عن الجزائر التي عرفها هو والسودانيون من خلال المجاهدين أولا ثم من خلال أعمال مالك بن نبي والأخريين، وقد تحدث محمد لعروسي مدير مكتبة معهد العالم العربي عن واقع مأسوي يعرفه الكتاب في العالم العربي من خلال مقارنة احصائيات المطالعة بين العالم العربي والعالم الغربي فالبريطاني على حد قوله يقرأ إحدى عشر كتابا في السنة بينما العربي يقرأ نصف كتاب في السنة، إلا أن هذا الأخير استبشر خيرا من الحركية التي يعرفها عالم الكتاب في الأونة الأخيرة.

أما عن مختلف فعاليات الندوة فقد أشار الأستاذ محمد مولودي الأمين العام للنقابة إلى أن هذه الندوة هي أول ندوة وطنية تجمع أهل الإختصاص لذلك ارتأى المنظمون أن تشتمل على عدة محاور منها إشكالية المكتبات والقراءة في الجزائر، النصوص القانونية المنظمة لمهنة الكتاب في الجزائر، نشر الكتاب والإعلام في الجزائر، سياسة الكتاب في الجزائر، بالإضافة إلى نشر الكتاب المدرسي في الجزائر.

المعرض الوطني شراكة فاعلة

نظمت النقابة الوطنية للناشرين الجزائريين، الطبعة الحادية عشر للصالون الوطني للكتاب بالعاصمة، وسط برنامج ثري ومنوع تتقدمه المحاضرات

شخصيات من المركزية النقابية،المجاهد العربي زبيري وممثلون عن وزارتي التربية والتكوين المهني في إفتتاح الصالون

التاريخية والأدبية التي ترافق معرض الكتاب.

الصالون الحادي عشر، الذي نظمته النقابة الوطنية لناشري الكتب بالتنسيق مع الشركة الجزائرية للتصدير والاستيراد «صفاكس» بالصنوبر البحري، عرف مشاركة مميزة دور النشر الجزائرية بزهاء 150 دار نشر، حيث أوضح محافظ الصالون أن الطبعة الحادية عشرة مميزة على مختلف المقاييس استكمالا لما دأبت اللجنة والمحافظة عليه في السنوات الماضية، والتي كان آخرها الصالون الوطني للكتاب العاشر الذي نظم بوهران، والذي شهد نجاحا معتبرا من حيث عدد المشاركين الذين قاربوا 90 ناشرا وعدد الزوار الذين حلّوا بالمئات. كما أن موعد التظاهرة، على حد تعبيره، اختير تزامنا مع العطلة الشتوية واستجابة لطلب جمهور القراء، ما يجعله يتنبأ بتحقيق إقبال واسع، حيث يسمح الصالون الحادي عشر للقراء من اقتناء الكتب التي لم يسعفهم الحظ في شرائها ضمن فعاليات الصالون الدولي للكتاب.

وفي الصدد يرى أحمد ماضي أن الهدف من هذه المعرض الوطني الخاص بخير جليس في الأنام، هو إيصال الكتاب إلى مختلف شرائح القراء وفي جميع المناطق في ظل بقاء مشاكل التوزيع التي تمنع القراء في المجتمع الجزائري من الاستفادة منه.

وهران عاصمة الكتاب

احتضنت الباهية وهران فعاليات المعرض الوطني للكتاب في طبعته العاشرة، تحت شعار "الباهية تقرأ كتابها"،وقال أحمد ماضي، رئيس نقابة الناشرين الجزائريين، إن المعرض يعود إلى وهران بعد غياب 12 عاما، موضّحا بأن التظاهرة التي يحتضنها قصر المعارض بالمدينة الجديدة، يشارك فيها أكثر من ثمانين دار نشر، وستحتفي بالإصدارات الجديدة، حيث يتم عرض أكثر من ثلاثمائة وخمسين عنوانا جديدا، صدرت أواخر سنة 2012، وبداية العام .2013 ، وأوضح ماضي بأن الطبعة العاشرة ستعرف عقد عدد من الندوات الفكرية والأدبية، كندوة "الرواية والتاريخ" و"إشكالية التوزيع في الجزائر"، يشارك فيها نخبة من الناشرين والمكتبيين، كما يلقي الدكتور رابح لونيسي محاضرة حول "صورة التاريخ ومنهجية كتابة المذكرات". ويشارك، في نفس السياق، عدد من رؤساء مخابر البحث على مستوى جامعة وهران، في ندوة حول "المخابر الأكاديمية بين صناعة المعرفة وإنتاج النخب". وخصّص، من جهة أخرى، يوم كامل، لقراءة نصوص مسرحية متبوعة بنقاش، يشارك فيها زياني شريف عياد، نور الدين سعودي، ونخبة من الممثلين المسرحيين.، وأن نقابة الناشرين اتفقت مع وزارة التكوين المهني على تخصيص جناح بنشاطات الوزارة، وتنظيم رحلات للمتربصين على مستوى معاهد التكوين لزيارة المعرض.

معرض بسكرة

الكتاب في ضيافة عاصمة الزيبان

شارك اكثر من واحد واربعين عارضا يمثلون مختلف دور النشر الجزائرية في فعاليات المعرض الوطني للكتاب في طبعته الثالثة عشرة الذي نظمته النقابة الوطنية للناشرين، شهر مارس 2014 ، وأشرف على افتتاحه ببسكرة وزير الشؤون الدينية والأوقاف بوعبد الله غلام الله، المعرض الذي إحتضنه ديوان مؤسسات الشباب الذي تم به تخصيص جناح لمصالح الأمن الولائي يضم وثائق ومطويات إرشادية تخص السلامة المرورية والمهام المسندة لهذه الهيئة

بول بالطا صديق الجزائر وإعلامي كبير

الأمنية،خصوصا في ميدان حماية أمن المرور. ويتميز المعرض بجعل جناح لمنشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، حيث أشرف غلام الله على توزيع مجموعة من المنشورات والكتب والمصاحف بالمجان لفائدة مواطنين صادف وجودهم بهذا الجناح. وضم المعرض 1500 عنوان في شتى الفنون والعلوم على غرار الأدب والشعر والدين والمعاجم والموسوعات مع تخصيص فضاء لكتاب الطفل به تشكيلات من القصص الملائمة لهذه الفئة،و حسب رئيس النقابة الوطنية للناشرين أحمد ماضي فإن الهدف من معرض بسكرة هو تقريب الكتاب من الجمهور العريض واطلاع الزوار على الإصدارات الجديدة التي تفيد القارئ والباحث والطالب.

معرض باتنة
الأوارس تحتفي بالكتاب

عرفت مدينة باتنة شهر مارس 2014 فعاليات المعرض الوطني الرابع عشر للكتاب الذي بادرت إلى تنظيمه النقابة الوطنية لناشري الكتب «سنال» بمشاركة 40 دار نشر من مختلف أنحاء الجزائر، وعرض في هذه التظاهرة، وحسب رئيس النقابة الوطنية لناشري الكتب أحمد ماضي، حوالي 2500 عنوان باللغتين العربية والفرنسية في شتى المجالات، مع تركيز خاص على الكتب الموجهة لفئتي الشباب والأطفال، وقد سطر على هامش الاحتفالية التي تأتي تحت شعار «الكتاب في ضيافة الأوراس»؛ برنامج ثقافي تفاعلي يتضمن أمسيات شعرية إلى جانب إلقاء محاضرات منها «الأوراس في كتب الرحالة العرب» و«رهانات صناعة الكتاب في المنظومة الإعلامية الجزائرية» تخللها احتفالية تكريمية للمؤرخ الراحل رابح بلعيد، وتأتي هذه المبادرة، وفق ماضي، في إطار مسعى تقريب الكتاب من القارئ بمختلف أنحاء البلاد الذي دأبت عليه الدولة الجزائرية وانتهجته النقابة الوطنية للناشرين، وقال المتحدث أن تجربة تنظيم هذا المعرض خارج الجزائر العاصمة، أثبتت نجاحها منذ الطبعة السابعة وهي الآن تحط الرحال بـ«عاصمة الأوراس» لتلتقي بقراء ومثقفي الجهة.

معرض موريال بكندا

شاركت النقابة الوطنية لناشري الكتب في فعاليات المعرض الدولي للكتاب الذي اقيم في كندا بمدينة موريال في نوفمبر 2010 وقد مثل النقابة في هذه التظاهرة أحمد ماضي لتكون المشاركة الجزائرية متجاوزة ألف عنوان، وهي المشاركة التي سمحت بالتعريف بالكتاب الجزائري والثقافة الوطنية في الأسواق الدولية.

حملة تحمل «كتاب ضد العدوان»

أطلقت النقابة الوطنية لناشري الكتب، حملة تحمل شعار «كتاب ضد العدوان»، تخصص لجمع الكتب لإعادة ملء مكتبات غزة التي خربتها الهمجية الإسرائيلية، ليكون ذلك «عربون وفاء للشعب الفلسطيني من شقيقه الشعب الجزائري».

دعت النقابة الوطنية لناشري الكتب، كافة الناشرين إلى المساهمة بقوة وفعالية والتجنّد لإنجاح حملة جمع الكتب، التي تنطلق بعد غد الاثنين في كامل التراب الوطني، تحت شعار «كتاب ضد العدوان». وقال رئيس النقابة الوطنية لناشري الكتب أحمد ماضي أن الدعوة مفتوحة لكل الجزائريين، من أفراد وناشرين ومكتبيين، أو مؤسسات

وهيئات ووزارات ومعاهد وجامعات ومراكز بحث». مضيفا أنه اتصل بكل المؤسسات التي أبدت حماسا لا نظير له من أجل إنجاح المبادرة، على أن تستمر الحملة مدة أسبوع كامل وتغطي كامل التراب الوطني. وأوضح ماضي أنه سيتم جمع الكتب من طرف ممثلي النقابة في مختلف الولايات، ليتم نقلها إلى مخازن مدني بوفاريك بالعاصمة، ثم تسلم بعد إتمام العملية إلى الهلال الأحمر الجزائري، الذي بدوره ينقلها في إطار قانوني منظم إلى غزة، رفقة وفد مهم، معتبرا أن «الحملة هي طريقة للرد على العدوان الإسرائيلي على غزة».

وتناشد من جهة أخرى، نقابة الناشرين الجزائريين ، كل المؤسسات المكتبية ومن لها دور في إنتاج الكتاب، التعاون مع الحملة ومساعدة النقابة لتكون الحملة رسالة إلى الشعب الفلسطيني أولا وإلى الضمير الإنساني ثانيا، تؤكد إن العلم والمعرفة والثقافة لا يمكن لأي محتل انتزاعها من أي شعب مهما كانت قوته وهمجيته، وإن المعرفة هي الرصيد الباقي للإنسانية.

وقفات التكريم والوفاء
أبو القاسم سعد الله

نظّمت النقابة الوطنية لناشري الكتببالمعرض الوطني للكتاب، وقفة تكريمية لشيخ المؤرخين، الراحل أبو القاسم سعد الله رحمه الله، حضرها جمع من رفقائه وتلامذته وعائلته وكذا جمهور مكثّف من زوّار المعرض، واستعرض خلالها المشاركون محطات مهمة في مسيرة هذا العلامة الذي سخّر حياته لخدمة العلم والوطن.

رئيس نقابة الناشرين اعتبر الوقفة درسا في مسيرتنا الثقافية كمجتمع وكأمة، لتقرأ بعدها فاتحة الكتاب والوقوف ترحما على روح الفقيد، أوّل المتدخلين كان صديق الراحل، الأستاذ محمد الهادي الحسني، الذي أبّن الراحل بأبيات شعرية اختارها من إحدى قصائد محمد العيد آل خليفة الذي كان أستاذا لسعد الله وكتب عنه مؤلّفا بعنوان «رائد الشعر الجزائري الحديث».

وقد تمّ تكريم نجل الراحل أبو القاسم سعد الله، السيد أحمد الذي ثمّن المناسبة وشكر نقابة الناشرين على هذه الالتفاتة وتسلّم من يد الأستاذ دماغ العتروس شهادة تكريم من النقابة ولوحة كبيرة نقش عليها بحروف من ذهب نشيد قسما وأيضا باقة ورد.

محمد الصالح الصديق

كرّمت النقابة الوطنية لناشري الكتبالكاتب محمد الصالح الصديق، نظير إنجازاته الكبيرة في الكتابة التاريخية، وتأليفه أكثر من مائة كتاب، وإسهاماته الصحفية. وحضر حفل التكريم الذي جرى على هامش الصالون الوطني للكتاب الحادي عشر، الذي تجري فعالياته بقصر المعارض في الصنوبر البحري، عدد كبير من الكتاب والمثقفين. وبالمناسبة، ذكر الدكتور محمد الأمين بلغيث أن محمد الصالح الصديق يعدّ من المجاهدين الذين انتقلوا للكتابة التاريخية بصدق ووطنية، واعتبر دفاعه عن العقيد عميروش، بواسطة تأليف كتابين حول مساره النضالي، والذي عرفه خلال حرب التحرير، بمثابة التفاتة ذكية، حاولت إزاحة الغموض الذي اكتنف علاقة قائد الولاية الثالثة بالمثقفين.

بول بالطا

وخلال فعاليات الصالون الوطني الثامن للكتاب كرمت النقابة الوطنية لناشري الكتب صديق الجزائر الإعلامي والكاتب بول بالطا PAUL BALTA الذي أعجب كثيرا بهذا التكريم، وكانت له نشاطات مهمة بالصالون، ولقاءات مطولة مع الصحافة الوطنية، أين تحدث مطولا عن علاقته بالجزائر ومسيرتها الطويلة في النضال من أجل الحرية والاستقلال، كما تناول حديث بول بالطا العديد من الجوانب الخفية في علاقته بقادة الثورة.

النقابة الوطنية بكندا في أول مشاركة بتاريخ الجزائر

المجاهدة أني ستاينر

كما كرمت النقابة الوطنية لناشري الكتب خلال الصالون الوطني الثامن للكتاب المجاهدة أني ستاينر ANI SATİNER تكريما لها ووفاء لما قدمته إلى الثورة التحريرية في مرحلة الكفاح والجهود التي بذلتها في التعريف بالقضية الجزائرية.

ضحايا سقوط الطائرة العسكرية

وخلال الصالون الوطني للكتاب بوهران الحادي عشر كرمت النقابة الوطنية لناشري الكتب ضحايا سقوط الطائرة العسكرية الجزائرية تكريما لهم لتفانيهم في خدمة البلاد، تعبير منها بالتلاحم الوطني وتقوية مشاعر التضامن الوطني الجزائر

تحضر معرض القاهرة الدولي للكتاب بقوة

كشف الأمين العام للاتحاد المغاربي

متابعة باهتمام لندوة نقاش في "الصافيكس" حول "وضعية الكتاب بالجزائر"

للناشرين ومدير دار الحكمة الجزائرية أحمد ماضي عن برنامج ثقافي ثري لتمثيل الجزائر في معرض القاهرة الدولي للكتاب.

وقال أحمد ماضي الذي كلفته النقابة الجزائرية لناشري الكتب، بتمثيل الجزائر في معرض القاهرة شهر ديسمبر 2008 ان برنامجه بدأ بتوسيع مساحة الجناح الجزائري، واقامة تظاهرات ثقافية في الجناح منها البيع بالتوقيع لمجموعة من الكتاب العرب والجزائريين، كما سييتم التوقيع على عقود شراء حقوق النشر لمجموعة من الكتب المهمة، ونشرها في الجزائر قصد توسع العلاقات الثقافية الجزائرية والارتقاء بها إلى مستويات ارقي في العالم العربي.

ويعتبر معرض القاهرة الدولي للكتاب بحسب احمد ماضي من أهم المناسبات الثقافية في العالم العربي فهو يتجاوز الإطار التجاري إلى الفضاء الثقافي والفكري، من خلال التجارب التي اكتسبها في السنوات الماضية.

واضاف ماضي «أسس المعرض (القاهرة) تقاليد وقيم مهمة نحن بحاجة إلى اكتساب تلك التقاليد، فهو فضاء مهم للتعريف بثقافات وانجازات الشعوب، من خلال الأضواء الإعلامية الدولية الكبرى التي تسلط عليه، ونظرا لهذه الأهمية التي يكتسي هذا المعرض سنشارك وفق أجندة ثقافية محددة الأهداف، وفي مقدمتها محاولة تمثيل الثقافة الجزائرية بصفة عامة كون الكتاب هو هوية الشعوب وسجل إبداعاتها ودليل حضارتها».

ولأول مرة سيكون البيع بالتوقيع في الجناح الجزائري لعدد كبير من المثقفين والكتاب العرب، واضاف ماضي «سنستدرك ما فقدناه في السنوات الماضية».

واوضح ان هذا هو الرهان الذي يعمل على كسبه وفد الناشرين الذي سيمثل الجزائر في هذه التظاهرة الثقافية الكبرى، إضافة إلى عرض اكبر وأهم الكتب الجزائرية التي صدرت في المدة الأخيرة، للتعريف بها والترويج في السياق العام لصناعة الكتاب في الجزائر ، كما سنجرى عدة لقاءات مع مجموعة من الناشرين الكبار في العالم العربي الإسلامي، سيكون بحث وتطوير التعاون وتبادل التجارب والخبرات محور هذه اللقاءات، كما سنبحث عن الأسواق العربية والإسلامية التي يمكن أن يكون فيها للكتاب الجزائري موقع فيها.

مشروع قانون سوق الكتاب

رفضت نقابة الناشرين بالجزائر محتوى مشروع قانون متعلق بأنشطة وسوق الكتاب عرض مؤخرا على البرلمان لمناقشته والمصادقة عليه بعد ذلك. وتتهم النقابة وزارة الثقافة بالسعي من وراء هذا القانون لتكريس احتكار صناعة الكتاب بالجزائر.

وحسب مذكرة أرسلتها النقابة لأعضاء لجنة الثقافة والاتصال والسياحة بالبرلمان، فإن مشروع القانون تضمن مجموعة اختلالات تمس جوهر

أول مشاركة للدرك الوطني في صالون الكتاب الـ 12

الافتتاح الرسمي للصالون في طبعته الـ 12

صناعة الكتاب، وتتناقض مع المبادئ الأساسية في التشريع المعمول به.

ووفق مذكرة النقابة، فإن مشروع القانون ينص صراحة على عودة الاحتكار الكلي للكتاب، وجعل العملية برمتها من اختصاص الحكومة، وغلق الأبواب أمام كل من لديهم القدرة على المساهمة في هذا المجال، مما يتناقض مع «كل التشريعات المعمول بها في البلاد».

ويرى معدو المذكرة، أن الكثير من العراقيل التي تضمنها مشروع القانون تصب بالنهاية في مصادرة الحريات الفردية، والتعدي على حق الملكية الفكرية، وتتعارض مع جوهر حرية التعبير والإبداع التي يضمنها دستور البلاد.

وحسب تقديرهم، فإن المشروع يقضي على كل الآمال في إقامة استثمارات ثقافية وتأسيس صناعة وطنية للكتاب من خلال «إصرار الوزارة على تكريس الاحتكار وتوسيعه».

واستنكر رئيس النقابة أحمد ماضي ما سماه تجاهل الشركاء الاجتماعيين في إعداد وثيقة المشروع. ووصف الأمر بـ«الخطير» لأن «هؤلاء جزء أساسي من عملية صناعة الكتاب وتسويقه كالنقابة الوطنية لناشري الكتب، واتحاد الكتاب الجزائريين والمستوردين والمطبعيّين ومختلف الجمعيات الثقافية».

وأضاف في حديث للجزيرة نت أن هذا المشروع يتعارض مع توصيات الرئيس «عبد العزيز بوتفليقة ورئس الوزراء عبد المالك سلال بضرورة إشراك المجتمع المدني في صنع القرار.

عضوية اتحاد الناشرين العرب

وقد تم بفضل جهود النقابة الوطنية لناشري الكتب ولأول مرة في تاريخ الجزائر الحصول على عضوية الهيئات القيادية لاتحاد الناشرين العرب وذلك بسبعة وعشرين عضوا وعضوين مكتب بالاتحاد، وهو الانجاز الذي سيمكن الكتاب الجزائري من الحصول على فضاءات وفرص انتشار اوسع.

إعادة الاعتبار للمركز الوطني للكتاب

والآن نحن على أبواب الذكرى الستين تثمن النقابة الوطنية عاليا قرار معالي وزيرة الثقافة الدكتورة نادية لعبيدي، القاضي بالاعتبار للنقابة من خلال تطبيق قانون الجمهورية بعضوية النقابة بالمركز الوطني للكتاب بعد تجميد خمس سنوات.

احتكاك الأمن الوطني و المثقفين

المجاهد صالح قوجيل:

«كان للإعلام دور ملموس في إبراز القضية الوطنية عالميا وفضح مناورات الاستعمار الفرنسي»

لم يتأخر صالح قوجيل لحظة عن الانخراط في صفوف الثورة، حيث كانت قمم وسفوح جبال الأوراس العرين المتين لأولئك الرجال الأفذاذ لينطلقوا رفقة إخوانهم المجاهدين عبر أرض الجزائر، التي ضاقت باستمرار الوجود الاستدماري، في صنع أروع ملحمة في الكفاح المسلح والنضال السياسي، إلى أن أسقطوا إحدى أكبر القوى الاستعمارية ممثلة في فرنسا وإرغامها على الجلوس إلى طاولة المفاوضات والخضوع لإرادة الشعب الجزائري بقيادة جبهة وجيش التحرير الوطني في الاستقلال.

سعيد بن عياد

كان لي الحظ كشاب يتطلع للانعتاق من قيود أبشع احتلال عرفته البشرية في تلك الحقبة، في أن أمارس الثورة تحت مسؤولية أخيار ذلك الجيل الفريد، من أمثال الشهيد مصطفى بن بولعيد، العموري، نواورة ومقداد والتقيت خاصة بعد سنة 1957 إلى غاية الاستقلال، بأبطال من وزن كريم بلقاسم، عبان رمضان، عميروش وسي الحواس، يقول صالح وجيل وهو يستحضر صفحات ماض لايزال ينير الدرب للأجيال المتعاقبة التي تتزود من الذاكرة الجماعية للأمة بالطاقة اللازمة كلما واجهت البلاد ظروفا قاسية أو تهددها خطر.

كان واحدا من قوافل صالت وجالت عبر ربوع وطننا الغالي، يصدون العدو ويطاردون فلوله، رغم فارق العدة وثقل التركة الاستعمارية، من فقر وتجهيل مبرمج للسكان وعذاب فاق كل تصور، منذ أن وطئت أقدام جيوشهم أديم هذه الأرض الطيبة.

بنفس قوة البندقية، كان للإعلام دور فائق في الدفع بالقضية الوطنية إلى واجهة العالم وإحباط ادّعاءات ومناورات الإدارة الاستعمارية من خلال أدواتها المخصصة للدعاية. ويقول محدثنا، إن الإعلام كان أحد أسس الثورة وشكل بيان أول نوفمبر المتضمن النداء الحاسم للشعب الجزائري ليأخذ زمام أموره بيده وثيقة إعلامية مرجعية ينبغي أن تتناولها الأبحاث والدراسات في أكثر من جانب، مثل صلابة الصياغة ودقتها وقوة الكلمات وسرعة وصول النداء إلى أفراد الشعب الجزائري.

ولتجاوز قلة إمكانات التواصل مع المجتمع وامتلاك المبادرة أمام العدو المدجج بإمكانات في العدة والعدد وانزلاقه إلى ممارسة جرائم حرب ضد الإنسانية، في محاولة يائسة لخنق الثورة التي زاد لهيبها ليمتد الحريق سنة بعد أخرى إلى آخر قلاع الاستعمار.

نداء الثورة الذي أطلق صرخته من "صوت العرب" بقاهرة المعزّ، لم يكن سهلا وصوله بالسرعة المطلوبة إلى أعماق المجتمع، فكان لزاما السعي الحثيث لذلك بالاتصال المباشر مع السكان في كل دوار ومشتى وقرية وحي، كون المعركة الكبرى مع الاستعمار كانت تدور حول هدف جوهري يتمثل في من يكسب ثقة الشعب، يوضح المجاهد قوجيل. وحتى يتم كسب الشعب المثقل بعقود طويلة من القهر والتنكيل والإبادة والاحتقار، ينبغي إقناعه بالبرهان الراسخ بأن الثورة التي أطلت على الجزائر من ظلام حالك من صنع الشعب الجزائري ولصالحه.

كان هذا جوهر الرسالة، فكانت معركة كسب تأييد الشعب منذ البداية في قلب الصراع الشرس والعنيف. بينما قام العدو الاستعماري ببذل كل ما توصل إليه خبراؤه في الدعاية المسوقة بالمكر والمناورة، بالموازاة مع زيادة وتيرة التنكيل بالجزائريين وممارسة الاضطهاد وما لا يتبادر إلى ذهن الإنسانية من شتى أنواع التعذيب والاغتصاب وتشريد السكان والتقتيل، بحثا – دون جدوى – عن استمالة الجزائريين وقطع تواصلهم مع الثورة.

كانت الثورة قد تجذرت في نفوس أبناء وطننا فتحقق الانتصار المحتوم.

في خضم تلك الملحمة الرائعة، التي روتها دماء شهدائنا الزكية، لعب المحافظ السياسي الذي رسمته قرارات مؤتمر الصومام المنعقد في 20 أوت 1956، دورا إعلاميا واتصاليا خارقا في العمق، فكان يبلغ روح الثورة ويرفع من إرادة الجزائريين ويفضح مناورات العدو بعمل اتصال جواري ودؤوب بلا كلل ولا ملل. وكان المحافظ السياسي الذي يحمل أيضا الصفة العسكرية يعرف مجتمعه من حيث القوة والضعف، فيدير المعركة النفسية والإعلامية بما يضع العدو دائما في موقع الحائر الذي لا يمكنه استغفال شعبنا. وكان للإعلام أيضا إسهام كبير في الدفع بالقضية الوطنية إلى مقدمة

الساحة الدولية، بالارتكاز على عمل في الداخل إلى أن ارتفعت أسهم الثورة ومعها صورة الشعب الجزائري الباسل.

في خضم كل هذا، يقول المجاهد قوجيل، سطرت قيادة الثورة منهجا صارما غير محرر في نصوص الثورة مفاده، من يسقط من أجل الجزائر ضريبة على عاتق الجزائريين فقط ليكون الاستقلال من صنع أبناء الجزائر. كما حدد بيان أول نوفمبر قاعدة غير مكتوبة ضمن شروط التفاوض مع الاستعمار، بأن لا يكون حينها أي وسيط مهما كان وزنه ومركزه تجاه الثورة، وبالتالي سطرت شرط الذهاب في الوقت المناسب إلى مفاوضات مباشرة بقيادة جبهة وجيش التحرير الوطني وهذا ما حصل، مما أعطى للجزائر حصانة ومناعة من أي تدخل خارجي عربي وأجنبي في تسيير كفاحها ضد الاستعمار الاستيطاني إلى النصر. وسقطت كافة محاولات الإدارة الاستعمارية الفرنسية في الفشل، مثل استعمالها للعناصر الميصالية أو القوة الثالثة وأطراف أخرى بهدف ضرب وحدة الثورة ومحاولة زعزعة ثقة الشعب فيها.

كل هذا الرصيد، يقول محدثنا، بلسان واضح، تعود ملكيته إلى الشعب الجزائري على تعاقب أجياله ويجب الرجوع إلى هذا الرصيد الوطني لمواصلة السير نحو المستقبل. ويضيف بعبارات موزونة تعكس ثقل معادلة القراءة الجيدة للتاريخ الوطني، أنها مسؤولية الإعلام الوطني اليوم، الذي بقدر ما تتنوع اتجاهاته واختلاف مشاربه الفكرية، يجب عليه أن يرتكز إلى تلك المرجعية التاريخية لتكون قيم ومبادئ ثورة أول نوفمبر قاعدته الفكرية فيمكنه باحترافية وصدق الانتماء، أن يفرض صوته إقليميا وعالميا كما فعلت ثورتنا. ويستطرد قائلا: "شكل الإعلام سلاحا فعالا في كفاحنا. وإذا كان هناك نقص في تداول الأخبار، فمردّه أساسا لطابع السرية للثورة وقلة الإمكانات، إلى جانب ضرب الاستعمار الفرنسي جدارا من الصمت والعزلة على بلادنا إلى أن جاءت مظاهرات 11 ديسمبر 1960 التي حطمت جدار الصمت". ويضيف، "كان ديغول في مستغانم ترافقه وسائل إعلام دولية لما اندلعت المظاهرات، فالتقطتها كاميرات وعدسات المراسلين الأجانب، لتبث عبر العالم". وحصلت ضجة في بيت الحكومة الفرنسية إلى درجة هاتف ديغول رئيس إيطاليا سنتها، محتجا على بث تلفزيون إيطاليا صور المظاهرات. وقامت الإدارة الفرنسية، التي أحكمت قبضتها على وسائل الإعلام في الجزائر، بمحاكمة صحافيين فرنسيين حاورا الثوار الجزائريين منذ منتصف الخمسينيات.

أكثر من ذلك، مارست عبرها ومن خلال أدوات الدعاية، مثل المصالح الإدارية المتخصصة (لاصاس) عمليات التشويش على الثورة، الأمر الذي تصدّت له القيادة على كافة المستويات، بالرد المناسب وفي الميدان.

وبالرغم مما عاشته من اختلافات وخلافات، إلا أن الثورة المجيدة، يؤكد المجاهد صالح قوجيل، خرجت متألقة وناجحة أمام كل اختبار، وكان الرجال يسقطون على درب الاستشهاد من أجل الحرية، لكن لم تسقط ثورة أول نوفمبر أبداً التي صانتها دماء ومعاناة وعذابات الرجال المخلصين للوطن والذين حملوها بمشقة إلى النصر المحتوم، الذي توجته نتائج مفاوضات إيفيان الشاقة بتطابقها بالنسبة للجزائر مع روح بيان أول نوفمبر. وطيلة الفترة من وقف القتال في مارس إلى 2 جويلية 1962، يوم إجراء الاستفتاء الشعبي، حصلت أحداث متتالية وخطيرة عالجتها الثورة، غير أن تلك الفترة لم تنل حقها من البحث والتحليل والتدقيق أكثر من قراءات لمحاور عامة، لقد كانت مرحلة البقاء والتمسك بالاستمرار في مواجهة النفس الأخير للاستعمار الفرنسي.

«ضرورة إطلاق قناة تلفزيونية تهتم بالتاريخ لضمان نقل رسالة نوفمبر إلى الشباب»

لذلك، يطالب المجاهد قوجيل بإطلاق قناة تلفزيونية وطنية متخصصة في التاريخ بمناسبة إحياء الذكرى 60 لاندلاع ثورة أول نوفمبر المجيدة، حتى تساهم في نشر أمجاد وبطولات ومعاناة الشعب الجزائري طيلة الحقبة الاستعمارية البشعة وضمان نقل الرسالة كاملة ويكل الحقائق إلى شبابنا الذي يفتخر ببطولات أسلافه ولا يقبل إطلاقا المساومة على حريته وكرامته.

عباد ونابي الضابطان في جيش التحرير:

التنصّت العمود الفقري للعمل الثوري حرص عليه القادة

«سلاح الإشارة، تكوين الإطارات المسلكة ومصالح المخابرات والمخابرات المضادة، الشفرة، التنصّت، الطيران، البحرية والأسلحة... مهامّ تكفلت بها عناصر الجيش الوطني الشعبي على أحسن ما يرام وقت الثورة التحريرية"، هذا ما أكده عبد السلام عباد، إطار سامي في الدولة وضابط في جيش التحرير الوطني.

فنيدس بن بلة

أنقذنا قافلة من 300 جندي بقيادة العقيدين كافي وبن عودة على الحدود الشرقية

وأضاف عباد، وهو من رفقاء القائد عباس لغرور بالولاية التاريخية الأولى، لـ«الشعب": "الحقيقة التاريخية الثابتة، أن أول من نادى بإنجاز مصلحة للاتصالات اللاسلكية هو البطل مصطفى بن بولعيد أواخر العام 1955 قبل مؤتمر الصومام. لكن بسبب غياب الأجهزة والتقنيين، لم تجسد الفكرة في وقتها وأجلت. الولاية الخامسة بالغرب كانت في وضع أحسن، انتهزت فرصة إضراب الطلبة المفتوح العام 1956، وبادر القائد عبد الحفيظ بوالصوف، بإنشاء مصلحة اللاسلكية بتكوين أول دفعة بوجدة خرجت خلال السنة 130 مخابر في الاختصاص".

وبحسب عباد، فإن دورات التكوين لتخرج كفاءات جزائرية في اللاسلكية قد تواصلت مسجلة 13 دفعة عند نيل الجزائر استقلالها. تولت هذه الدفعات مهام الاتصالات اللاسلكية، الاستخبارات، التنصت التي هي العمود الفقري للعمل الثوري، حرصت قيادة جيش التحرير الوطني عليه ومنحته الأولوية القصوى.

وتدخل عبد الكريم نابي، ضابط سابق في جيش التحرير وكان إلى جانب عباد، ضمن الدفعة الأولى التي تخرجت من تونس العام 1956، قائلا: "مهمّة الأفواج التي تكونت على أيدٍ جزائرية بعضها عمل في الجيش الفرنسي في هذا الاختصاص وجنّده بوالصوف لصالح الثورة الجزائرية بالمغرب، منهم الرائد عمر بالأغواط الذي تحمل جامعة الولاية اسمه، التنصت على مصالح العدو الفرنسي، خططه الحربية، تحركات عساكره. وبعد التنصت تجمع كل معلومة في تقارير إخبارية وترسل إلى قادة الجيش بالولايات التاريخية".

وواصل نابي، الذي استفاد من تكوين عسكري في اختصاص الإشارة في جمهورية الصين الشعبية العام 1960، بالأكاديمية العسكرية لمختلف الأسلحة المعروفة بتخرج ضباط سامين "تحرص الأفواج على إطلاع قادة جيش التحرير بأدق التفاصيل عن تحركات العدو وما

عامان قضيناهما تحت الأرض في مهمة تحت إدارة بوالصوف

يتوجب أخذه من احتياطات وتدابير تستدعي أعمالا مضادة تربك المستعمر وتجعله يراجع حساباته ويدرك بأنه أمام ثورة منظمة تتوفر على مقومات النجاح والانتصار. ثورة لها قادة يحملون فكرا حربيا استراتيجيا يكسبون به التفوق في الميدان وليسوا قطاع طرق وخارجين عن القانون، مثلما تروّج فرنسا الاستعمارية في أدبياتها الدعائية".

ودليل ذلك، بحسب نابي، أن الأفواج العاملة في مصالح اللاسلكي في تنصّتها كانت تأخذ توقعات العدو وخططه على مدار 15 يوما أو شهر وتوظفها. كانت فرنسا ترسلها غير مشفرة في بداية الأمر لكن باكتشاف المصالح الجزائرية لها غيّرت النهج والأسلوب واعتمدت "المشفّر" في كل شيء. مع ذلك نجحت الفرق الجزائرية في تفكيك معانيها وألغازها.

أول مركز تنصت بوجدة في 1958 والثاني بالكاف

ويروي عباد أن أول مركز تنصت كان بوجدة المغربية عام 1958 والثاني بمدينة الكاف التونسية اتخذ من بيت إمام مسجد جزائري، انطلق بمجموعة عمل تضم 7 أفراد وتوسعت إلى 15 فردا لاحقا بحكم الحاجة والضرورة، قائلا: "كنا نعمل بتنسيق مع العقيد بن عودة الذي كلفه بوالصوف بالأمر. بعد إدراكنا أن تونس تسعى لمعرفة ما يجري في هذه المنطقة، غيّرنا مركز التنصّت إلى الكاف، حيث ظلت زيارات بوصوف لنا متواصلة للاطلاع على النشاط الذي رأى أنه على ما يرام. نتذكر ما قاله لنا وحرص عليه كثيرا: «حذار فإن الحائط له أذنان. استعينوا بقضاء حاجياتكم بالسر والكتمان. أول قرار اتخذ أنكم هنا لمدة لا أحد يحددها لا أنا ولا غيري، لا خروج لكم ولا دخول عليكم..» وهو ما سرنا عليه مدة عامين تحت الأرض بلا انقطاع دون خروج".

ويسرد عباد تفاصيل محاولة فرنسا اختراق المركز ونسفه دون جدوى، قائلا: "كوّنت فرنسا عميلا على القفز بالمظلات في قسنطينة لنسف مركز الكاف بعدما انتابتها شكوك عن نشاطه عام 1959 لكن الثورة كانت أقوى فأفشلت المؤامرة وألقى جيش الحدود القبض على العميل وهو جزائري".

من العمليات الناجحة التي قامت بها أفواج اللاسلكي، يروي عباد حادثة في غاية الأهمية قائلا: "كنت في تنصت

صوت الجزائر الحرة

اخترقنا مكاتب نشرات حربية وفككنا رسائل مشفرة إلى الحكومة الفرنسية

وأضاف عباد، وهو من رفقاء القائد عباس لغرور بالولاية التاريخية الأولى، لـ«الشعب": "الحقيقة التاريخية الثابتة، أن أول من نادى بإنجاز مصلحة للاتصالات اللاسلكية هو البطل مصطفى بن بولعيد أواخر العام 1955 قبل مؤتمر الصومام. لكن بسبب غياب الأجهزة والتقنيين، لم تجسد الفكرة في وقتها وأجلت. الولاية الخامسة بالغرب كانت في وضع أحسن، انتهزت فرصة إضراب الطلبة المفتوح العام 1956، وبادر القائد عبد الحفيظ بوالصوف، بإنشاء مصلحة اللاسلكية بتكوين أول دفعة بوجدة خرجت خلال السنة 130 مخابر في الاختصاص".

وبحسب عباد، فإن دورات التكوين لتخرج كفاءات جزائرية في اللاسلكية قد تواصلت مسجلة 13 دفعة عند نيل الجزائر استقلالها. تولت هذه الدفعات مهام الاتصالات اللاسلكية، الاستخبارات، التنصت التي هي العمود الفقري للعمل الثوري، حرصت قيادة جيش التحرير الوطني عليه ومنحته الأولوية القصوى.

وتدخل عبد الكريم نابي، ضابط سابق في جيش التحرير وكان إلى جانب عباد، ضمن الدفعة الأولى التي تخرجت من تونس العام 1956، قائلا: "مهمّة الأفواج التي تكونت على أيدٍ جزائرية بعضها عمل في الجيش الفرنسي في هذا الاختصاص وجنّده بوالصوف لصالح الثورة الجزائرية بالمغرب، منهم الرائد عمر بالأغواط الذي تحمل جامعة الولاية اسمه، التنصت على مصالح العدو الفرنسي، خططه الحربية، تحركات عساكره. وبعد التنصت تجمع كل معلومة في تقارير إخبارية وترسل إلى قادة الجيش بالولايات التاريخية".

وواصل نابي، الذي استفاد من تكوين عسكري في اختصاص الإشارة في جمهورية الصين الشعبية العام 1960، بالأكاديمية العسكرية لمختلف الأسلحة المعروفة بتخرج ضباط سامين "تحرص الأفواج على إطلاع قادة جيش التحرير بأدق التفاصيل عن تحركات العدو وما يتوجب أخذه من احتياطات وتدابير تستدعي أعمالا مضادة تربك المستعمر وتجعله يراجع حساباته ويدرك بأنه أمام ثورة منظمة تتوفر على مقومات النجاح والانتصار. ثورة لها قادة يحملون فكرا حربيا استراتيجيا يكسبون به التفوق في الميدان وليسوا قطاع طرق وخارجين عن القانون، مثلما تروّج فرنسا الاستعمارية في أدبياتها الدعائية".

ودليل ذلك، بحسب نابي، أن الأفواج العاملة في مصالح اللاسلكي في تنصّتها

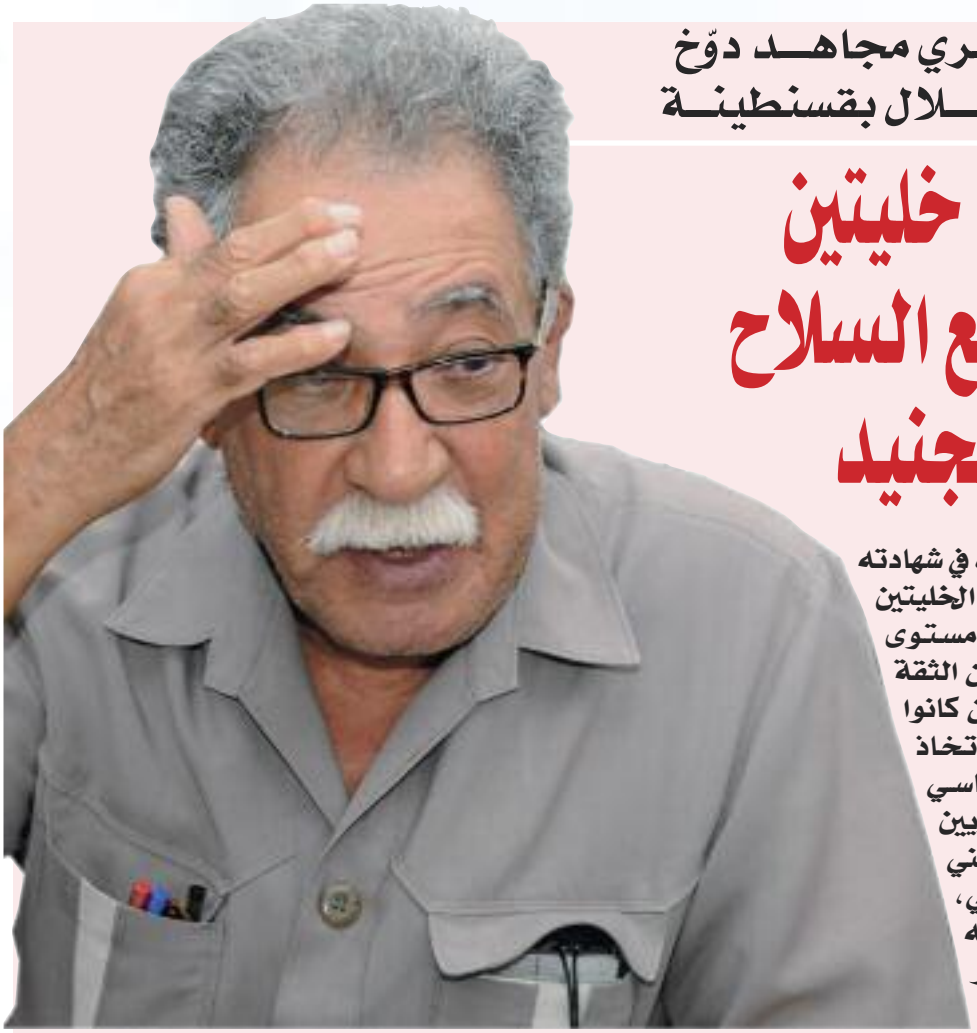

عمار معمري مجاهد دوّخ عساكر الاحتلال بقسنطينة

عضو نشط في خليتين سريتين لجمع السلاح والأموال والتجنيد

يكشف المجاهد عمار معمري، في شهادته لـ "الشعب"، عن نشاطه داخل الخليتين السريتين اللتين كانتا على مستوى منطقة قسنطينة، موضحا أن الثقة واليقظة سلاح أعضائها الذين كانوا يتميزون بالذكاء الخارق في اتخاذ القرارات، سمح في زمن قياسي بتجنيد عدد كبير من الجزائريين في وحدات جيش التحرير الوطني ممن كانوا بالجيش الفرنسي، مبرزا الدور الكبير الذي لعبته هاتان الخليتان في دعم الثوار بالأموال والذخيرة.

محمد مغلاوي - تصوير: عباس تيليوة

ويؤكد المجاهد معمري، المولود سنة 1934، برحبة الصوف بقسنطينة أن الحس الوطني وحاجة الجزائر إليه دفعتاه لاتخاذ قرار ترك الدراسة والالتحاق بالجبال في أكتوبر 1956.

كان عمار معمري، طالبا ثانويا عند اندلاع الثورة التحريرية في أول نوفمبر 1954، وبالتحديد في السنة الثانية بالمدرسة العامة بقسنطينة (المعهد التكنولوجي للتربية حاليا)، التي كانت تكوّن معلمي الابتدائي، وكان يدرس تحت النظام الداخلي.

التحق بها بعد اجتيازه لمسابقة شارك فيها 80 مترشحا، ولم ينجح سوى 17 تلميذا، بينهم 6 جزائريين فقط والباقي فرنسيون، وهو ما يعكس ـ كما قال معمري ـ السياسة العنصرية للاستعمار تجاه أبناء الجزائر، الذين كان عددهم أكبر بكثير من المعمرين، ولكن المستعمر يمنح الأوروبيين كل الامتيازات في جميع المجالات بما فيها التعليم على حساب أصحاب الأرض، إلى جانب ذلك كانوا يُدرسون التلاميذ التاريخ الفرنسي فقط، "وهو ما زاد في تعطشنا لمعرفة التاريخ الوطني والحركات الوطنية والتواصل مع المناضلين".

انظمّ المجاهد عمار معمري إلى خليتين سريتين كانتا تنشطان بقسنطينة، رغم التزاماته الدراسية. وحول كيفية بدء الاتصالات والمهام التي كانت مخولة له، قال معمري: "قبل اندلاع الثورة التحريرية كنت على اتصال مع مناضل اسمه مسعود، يكبرني حوالي 4 سنوات، هدفي هو الحصول على أعداد من جريدة حركة انتصار الحريات الديمقراطية، كانت تصدر باللغة الفرنسية فقط، اسمها "الجزائر الحرة"، كنت أنا وزملائي التلاميذ الجزائريين نطالع المقالات السياسية، كما كنت مهتمّا أكثر بفقرة تصدر بالجريدة تحت عنوان: "عظماء المغرب" تتحدث عن علماء، فلاسفة وكتاب كبار تاريخيين بكل من تونس والجزائر والمغرب، تشوقا لمعرفة تاريخنا. لكن بعد اندلاع الثورة التحريرية انقطع الاتصال مع ذلك المناضل، وأصبحت الحاجة ماسة أكبر لربط اتصالات مع مناضلين آخرين للمساهمة في دعم جيش التحرير، خاصة أن الإحساس بحاجة الوطن إلينا ازداد مع اندلاع الثورة التحريرية، وكبر الشعور بأن النضال من أجل تحرير الجزائر مسؤولية تقع على الجميع بمن فيهم نحن التلاميذ بالمدرسة العامة".

هذا الوضع أدى بمعمري وزملائه إلى البحث عن المناضلين، وفي أحد الأيام التقى عمار معمري بشاب أقل سنّا منه بحوالي 5 سنوات، هو أخ صديق درس معه في قسم واحد، وهذا الشاب كان يعمل كاتبا في وحدة عسكرية فرنسية موجودة بقسنطينة، مخصصة للأعمال الشاقة، أغلبية الموجودين بها جزائريون. وهنا يوضح معمري، بأن

قلّد طريقة إمضاء قائد فيلق فرنسي لمنح تراخيص خروج جزائريين من ثكنة عسكرية والالتحاق بالثورة

الجزائريين في الجيش الفرنسي إما كانوا مضطرين لأداء الخدمة العسكرية، وإما متطوعين من أجل الحصول على لقمة العيش.

في مارس 1955، التقى معمري ذلك الشاب بمقهى، عرّفه بشخص يبلغ من العمر 54 سنة يسمى الطاهر باديسي، قدم نفسه لمعمري على أنه مناضل بجيش التحرير واقترح عليه الانضمام إلى الخلية السرية التي تنشط بمدينة قسنطينة. رد معمري على طلبه بالإيجاب، وذكر أنه شعر بسعادة كبيرة بعد لقائه الطاهر باديسي، خاصة أنه جاء بعد بحث طويل عن المناضلين، وأضاف قائلا: "غيرتي على وطني وخوفي على الخلية السرية وأعضائها جعلني أطلب من باديسي إبعاد ذلك الشاب عن مختلف اللقاءات السرية، لما قد يشكله من خطر على عمل الخلية، وفسّرت له الأمر فيما بعد في لقاء ثانٍ دون حضور ذلك الشاب، أكدت له بأن السريةّ تتطلب أن يكون التواصل بين شخصين لا ثلاثة مهما كانت صفته، فقد يكون الثالث جاسوسا لصالح الفرنسيين أو مشوشا على عمل الخلية".

الخراطيش داخل الأحذية والخبز لتجاوز الحواجز الأمنية

بعد قبول معمري العمل في الخلية السرية، ودرءاً للخطر، اقترح على الطاهر باديسي أن يتم إرسال ذلك الشاب إلى الجبل يتكفل به المجاهدون، أو القيام بشجار وعراك تمثيلي بينه وبين باديسي بحضور الشاب ثم يفترقا على أنه نهاية لعلاقتهما بالخلية. وفضل باديسي الاقتراح الثاني، وكل هذا . بحسب معمري . ليس لأنّ الشاب يعمل في وحدة عسكرية فرنسية، بل لأنه مازال صغيرا غير واعٍ بالقضية التي ندافع عنها، "فقد يخبر الفرنسيين تحت الضغط بما نقوم به داخل الخلية التي كانت مهمتها جمع الأسلحة وكل ما يتعلق بالوسائل والأدوات الحربية".

وكشف معمري عن بعض الحيل التي كان يستعملها لتجاوز الحواجز الأمنية، منها جمع خراطيش البنادق ووضعها داخل رغيف خبز كبير الحجم، ثم يلفها بورق الجرائد، وفي بعض الأحيان يضع تلك الخراطيش داخل حذائه، ولم يحدث – كما ذكر معمري – أن تفطن الفرنسيون للأمر رغم التفتيش الدقيق.

ويقول المجاهد عمار معمري في حديثه عن ذلك الشاب، الذي تم عزله عن العمل السري للخلية، "رغم تخوّفنا من أن يخبر ذلك الشاب الفرنسيين بنشاطنا، إلا أننا لجأنا إليه في مهمة تهريب الجنود الجزائريين من الجيش الفرنسي إلى الجبال، حيث ساعدنا كثيرا في الحصول على الوثائق التي بها تراخيص خروج الجنود من الوحدة العسكرية التي يعمل فيها كاتباً، يتعلق الأمر بتراخيص قصيرة المدة، أي بين 20 ساعة إلى 48 ساعة، كان يوقعها قائد الفيلق، بينما تراخيص مدة شهر من الصعب الحصول عليها، على اعتبار أن قائد منطقة قسنطينة هو الذي يمضي عليها".

تمكن ذلك الشاب من تهريب وثيقة تحمل إمضاء قائد الفيلق، منحها لعمار معمري، وهنا يذكر معمري أنه تدرب عدة مرات على إمضائه، وبعد تمكنه من ذلك أصبح مسؤولا على تحضير تراخيص للجنود الجزائريين الموجودين بالوحدة العسكرية تحمل أسماءهم ورتبهم وغيرها من المعلومات، ثم يقوم بتحديد موعد انطلاق الشاحنة المخصصة لنقلهم إلى الجبل للانضمام لصفوف جيش التحرير، وبمجرد الحضور لمكان التنقل يحصلون على وثيقة التسريح وبذلاتهم العسكرية بالجيش الفرنسي، وقبل الانطلاق يأمرهم بتتبع تعليمات شخص يرتدي قميصا أزرقا أو أحمر لإيصالهم بسلام إلى الجبل حيث يتواجد مجاهدو جيش التحرير.

وذكر معمري، بهذه الطريقة تم إخراج عدد كبير من الجنود الجزائريين بالجيش الفرنسي، إلى غاية اكتشاف هذه الخلية السرية من طرف الفرنسيين بعد إضراب الطلبة في 19 ماي 1956. وكشف معمري، أنه شارك في ذلك الإضراب رفقة زملائه الطلبة الجزائريين بمدرسة تكوين المعلمين العامة، واتخذوا بعدها قرار ترك الدراسة في 25 ماي، رغم رفض المدير الذي وصفهم بقطاع الطرق والخارجين عن القانون، مشيرا إلى أنه لم يصعد إلى الجبل مباشرة كما فعل أغلب الطلبة، بل بقي ينشط في المدينة لصالح الثورة، وهذا بعد طلب مسؤولي جيش التحرير منه الانضمام إلى خلية ثانية مهمّتها جمع الأموال، فقبل معمري بهذه المهمة الجديدة دون أن يخبرهم بعمله لصالح الخلية السرية الأولى، "التي تم اكتشافها من طرف الفرنسيين بسبب عدم حصول تنسيق في فترة تواجدي بالعاصمة، من نتائجها اعتقال الشاب الذي يعمل كاتباً في الوحدة العسكرية وجنود جزائريين آخرين"، موضحا أنه في سبتمبر 1956 مع تواصل إضراب الطلبة، تنقل إلى العاصمة في مهمة لجمع معلومات حول تطور الإضراب والدراسة والامتحانات هناك، وكانت بحوزته عناوين وأسماء لطلبة أعضاء في اتحاد الطلبة المسلمين الجزائريين في حي بلكور، مشيرا إلى أن مسؤولي جبهة التحرير كلفوه بإجراء لقاء تقييمي معهم، لكن لما وصل إلى العاصمة لم تجر الأمور كما كان يتوقع، حيث لم يجدهم جميعا ونصحه زملاء لهم بالحذر، لأن الأمن الفرنسي إذا علم أنه قادم من قسنطينة يزج به في السجن، وأخبروه أيضا بأن الأشخاص الذين يبحث عنهم رحلوا عن بلكور.

بعد عودة معمري إلى قسنطينة، علم أنه تم تنظيم خروج لجنود جزائريين من الوحدة العسكرية الفرنسية، ولأنّ الأمور لم تكن مضبوطة ومنسقة بالشكل اللازم – بحسب ما قاله معمري – لم يتمكن الجنود من إيجاد مستقبليهم الذين يوصلونهم لمكان تواجد مناضلي جيش التحرير، فعادوا إلى الوحدة العسكرية بأحذية ملطخة، فتفطن الفرنسيون للأمر، واكتُشفت الخلية، وتم إيداع الجنود الجزائريين السجن الذين تمكنوا فيما بعد من الفرار.

ولأن الهدف في الخلية الثانية هو جمع الأموال لصالح الثورة، ربط عمار معمري، اتصالات مع ممثلين يعملون في المؤسسات الرسمية الفرنسية كالبلديات والتأمينات وغيرها، موضحا بالقول: "هؤلاء الأشخاص يأتونني بالأموال وأنا بدوري أوصلها لمناضل بجيش التحرير اسمه، خزندار عبد الرحمن، هو وسيط بيني وبين المجاهدين ينتمي لعائلة معروفة في قسنطينة، شقيقه أستاذ في الثانوية، لما تم اكتشاف الخلية الأولى بدأت الشرطة الفرنسية تبحث عني في منزلي، حصلوا على عنواني من الشاب الذي يعمل كاتبا بالوحدة العسكرية، الذي استسلم للأمر وأعطاهم معلومات عني بعد أن عذبوه عذابا شديدا".

عندما علم معمري بالأمر اختبأ بمنزل خزندار، مخبرا إياه بالنشاط الذي كان يقوم به في الخلية الأولى، وقال له إن البقاء ببيته في رحبة الصوف بعد اكتشافها أصبح مجازفة خطيرة، فنصحه خزندار بالاختباء في فيلا هي ملك لعائلته الميسورة الحال، تقطنها والدته، التي أوصاها بأن تفتح له الباب. بقي معمري هناك أسبوعا أي من 2 إلى 9 أكتوبر 1956، قام خلالها بطبع مختلف المناشير التي يحتاجها جيش التحرير.

الصعود إلى الجبل والانضمام إلى الثورة

وبعد أن تأكد من اكتشاف الفرنسيين للخليتين في جريدة "لاديباش دو كونسطنتين"، قرر معمري الصعود إلى الجبل للانضمام إلى جيش التحرير، لكنه احتار في الطريقة التي تمكنه من الوصول إلى مكان تواجد المجاهدين، لصعوبة تجاوز الحواجز الأمنية الكثيرة للجيش الفرنسي. وساعده في ذلك الأستاذ خزندار بحكم امتلاكه بطاقة أستاذ تجعل من عملية تجاوز الحواجز الأمنية سهلة، هذا بالإضافة لتوفره على سيارتين. وبالفعل تمكن الأستاذ خزندار من إيصال معمري إلى مجموعة من المناضلين بالمدينة، مهمتهم التنسيق وتسهيل التحاقه بجيش التحرير، بدورهم أرشدوه نحو مكان جيش التحرير مشيا على الأقدام. استغرقت مدة السير ساعتين من باب القنطرة إلى جبل الوحش، وكان هذا يوم 9 أكتوبر 1956، ولدى وصوله نهض المجاهدون ينادونه بالكاتب لمعرفتهم المسبقة به، فهو الذي سهل عليهم مهمة الخروج من الجيش الفرنسي فترة نشاطه بالخلية الأولى، ولم يكن أحد منهم على علم باسمه الحقيقي. غير أن معمري تفاجأ لمناداة أحد ممن كان معهم باسمه الحقيقي عمار، وانتابه شك، وبعد أن سلم عليه ذلك الشخص علم بأنه ذلك المدني الذي ألحّ عليه سابقا الالتحاق بالجبل، لكن معمري بقي محتارا من معرفته لاسمه الحقيقي، ما جعله يشك في كونه جاسوسا يعمل للجيش الفرنسي، واضطر مسؤول المجموعة إلى اتخاذ قرار بتغيير المكان نحو "دشرة" أخرى في تلك الليلة بالذات، دون علم ذلك الشخص.

المجاهدة عقيلة وارد شاهدة على النضال في المهجر

قدمت معلومات هامة للجبهة عندما كنت عون اتصال

30 فرنكا تقتطع لتمويل الثورة

كانت من بين ابرز المجاهدات اللواتي ابلين بلاء حسنا خلال نضالهن خارج الوطن بل في عقر دار المستعمر و بالتحديد في الولاية 7 ، تتميز بالانضباط و الدقة في تأدية واجبها ، و محتاطة لكل خطوة تخطوها مهما كانت ، حققت ما طلبه منها المسؤولين في جبهة التحرير الوطني ، المجاهدة وارد عقيلة تسترجع شريط ذكريات النضال ، و تروي تفاصيل من شريط ذكرياتها حصريا ل " الشعب" عن مشاركتها في النضال بعد 60 سنة من اندلاع الثورة من خلال هذا الحوار .

حياة / ك

■ الشعب : النضال في عقر دار المستعمر الغاشم ميزة الثورة الجزائرية ، لكن نريد أن نعرف في الأول سبب تنقلك إلى فرنسا ؟

■■ المجاهدة وارد : قبل الحديث عن النضال تحت راية جبهة التحرير بالولاية ال7 بفرنسا ، أريد أن اسرد بعض المواقف التي تأثرت بها و أنا ما أزال طفلة في سن ال9 ، أتذكر جيدا سنة 1945 التي استشهد فيها المناضل تريكي الذي يقرب لي من جهة النسب ، و هو الرجل الذي كان صاحب أخلاق عالية و كان مثقف ، صورته ما تزال مرتسمة في ذاكرتي ، و أنا طفلة لم أدرك بعد ما يحدث ، غير أن البيئة النضالية التي كنت أعيش ، حيث كانت تحيط مختلف المنظمات النضالية ببيتنا المتواجد بقسنطينة ، دعيني أحدثك كذلك عن السبب الرئيسي الذي دفعنا للهجرة إلى فرنسا و المتمثل في التهديد و الحكم بالموت الذي صدر في حق والدي الذي كان مثقف و نقابي من قبل "اليد الحمراء" ، ما اضطره لمغادرة الوطن نحو فرنسا ، وبعده بفترة التحقت العائلة به، وعند وصولنا باريس طلبنا الاتصال بجبهة التحرير هناك .

■ تعتبرين من بين المجاهدات اللواتي اثبتن فاعلية في أداء واجبهن النضالي في المهجر ، هلا تحدثين عن مسارك في هذه الفترة ؟

■■ عن مساري النضالي تحت لواء الفيدرالية التي اعتبرتها الإطار الذي مكن النساء الجزائريات بفرنسا من الانضمام إلى الثورة التحريرية من أوسع أبوابها ، وإشراكها في النضال بمختلف أشكاله معتمدة في ذلك على اعتقاد فرنسا بأن النساء الجزائريات كن جد محدودات ، وغير قادرات على الانخراط في الكفاح ، إلا أن الحقيقة كانت غير ذلك، و أأكد لك شيئا ، لقد كن شريكا أساسيا في الكفاح، حيث أسندت لهن مهام جد دقيقة وخطيرة كحمل حقائب الأسلحة والأموال وكذا الوثائق السرية .

باشرت عملي النضالي كعون اتصال و كان ذلك سنة 1957 بضاحية " فنتان بلو" ، كلفت بجمع الاشتراكات من الجالية الجزائرية بالمهجر ، و هنا أريد أن أكد شيئا مهما ، و هو أن الجزائريين بفرنسا كانوا يعيشون ظروف مزرية للغاية ، كانت أجورهم زهيدة ، و بالرغم من ذلك كانوا يواظبون في دفع اشتراكاتهم ، 30 فرنك يقتطعونها شهريا من أجرة لا تتجاوز 300 فرنك في أحسن الأحوال ، و أريد كذلك أن أأكد أن 80 بالمائة من ميزانية الحكومة المؤقتة كانت عبارة عن اشتراكات العمال الجزائريين بأرض العدو .

80 بالمائة من ميزانية الحكومة المؤقتة مصدرها اشتراكات الجزائريين بفرنسا

■ كيف كنت تتصلين بالجالية المهاجرة لتحصيل اشتراكاتها لتمويل الثورة ؟

■■ جمع الاشتراكات لم يكن عمل سهل ، بل كان صعب ، إذ يتطلب مني اتخاذ كامل الحيطة و الحذر ، و التقيد بتعليمات المسؤولين من قيادة الجبهة ، فكنت أتعامل مع مسؤولين اثنين ، الأول اخذ منه الموال التي جمعها ، و أؤديها إلى مسؤول آخر في مواعيد ثابتة ، و أوضح أن إيصال الفرنسيين المتعاطفين مع الثورة ، و أنا أتذكر أسمائهم و منهم من أزال في اتصال معه ، كما أن " شبكة جونسن" قدمت خدمات جليلة لجبهة التحرير الوطني .

أثناء عملي بباريس حرمت علي الجبهة التحدث بالعربية أو الاختلاط بالجالية الجزائرية هناك كي لا أثير انتباه الشرطة الفرنسية، كان شيئا يؤلمني لكنه كان ضروريا لأداء مهامي الثورية "، من جهة أخرى عملت الثورة على تكوين المجاهدات في كل النواحي، وهنا تضيف قائلة " أنا مثلا كنت لا أطيق سماع الرصاص فتكفل الراحل عميرات سليمان بتدريبي وكان يضحك من خوفي، ويقول لي لقد أسمعنا فرنسا صوت شعبنا سلميا لكنها لا تفهم إلا لغة الرصاص.

كما عملت الجبهة على تكويننا سياسيا فخصصت لنا مثلا دورتين في اختصاص "الاقتصاد السياسي "، و« تاريخ وجغرافية الجزائر"، "الحركات التحررية عبر العالم "، في هاتين الدورتين مثلا اخترت أنا و5 من رفيقاتي كي نكون مناضلات أخريات وهكذا، كما كنا نقوم بجمع الإعانات ومحو الأمية، وتمويل المساجين وعائلاتهم .

و تكونت كذلك في قيادة السيارة ، علما أن الجبهة كانت تدفع ثمن رخص السياقة، كما قالت المرأة كلمتها سواء في الجزائر أو فرنسا وبرز دورها أيضا خلال عملية الاستفتاء على الاستقلال الوطني، بعدها كلفت بتنظيم احتفالات الاستقلال".

■ من خلال حديثك أشرت إلى مساعدات بعض المنظمات الفرنسية للثورة بما فيها"شبكة جونسون" ، قلت أن النقابات كذلك ساهمت في نصرة القضية الجزائرية ، هل حدثين عن ذلك ؟

■■ طرحت سؤال وجيه لأنه جعلني أتذكر دور هام جدا قامت به النقابات الفرنسية ، التي أمضت 52 منها على مذكرة أرسلتها إلى السلطات العليا في البلاد تطلب منها الدخول في التفاوض مع جبهة التحرير الوطني ، و قد تمت الاستجابة لندائها .

■ بعد سنوات طوال من الكفاح في الداخل و النضال في الخارج افتك الشعب الجزائري حريته كيف تصفين فرحة الاستقلال عند الجزائريين المغتربين بفرنسا ؟

■■ أتذكر أننا نظمنا الاحتفالات في كامل التراب الفرنسي، أنا مثلا نظمته في باريس رفقة زميلاتي في أحد الفنادق وأعددنا الأعلام الجزائرية والحلويات والأطباق الممثلة لكل مناطق الوطن ودعونا الفرنسيين وحتى الأجانب ووزعنا عليهم بيان أول نوفمبر مطبوعا، إنها أيام لا تنسى ولا تسقط من دفتر التاريخ" ، و أنا اغتنم في كل مرة تتاح لي الفرصة لتقديم الشكر الجزيل للفرنسيين الذين قدموا يد المساعدة للثورة الجزائرية.

الفدائي حسين الطاهر

عملياتنا استهدفت غلاة المعمرين، مراكز الشرطة، الحانات وعناصر اليد الحمراء

الفاتح نوفمبر 1954... محطة من محطات الجزائر الثورية الخالدة، بحلولها تنتابني رغبة بواجب تخليدها في كل مرة، بجمع شهادات المجاهدين الأشاوس الذين عايشوا تلك الأحداث ونقلها للأجيال الصاعدة، وفاءً لرسالة الشهداء الذين أوصونا بها، كما قال الشهيد مراد ديدوش، "وهي تخليد ذكراهم". في كل مرة التمس عظمة هذه الثورة التي أنجبت النساء والرجال، وأتساءل أحيانا كيف لشعب أعزل استطاع بفضل إيمانه القوي وشجاعته، أن ينتصر على أكبر قوة مدعمة بالحلف الأطلسي في القرن العشرين وهي فرنسا الاستدمارية.

سهام بوعموشة

أقف تقديرا وافتخارا ببطولات أجدادنا الذين لولاهم لما كنت أمارس مهنتي في بلد ينعم بالحرية، لأنهم كانوا يعملون في السرية وعنصر مهم في العمل المسلح. ارتأينا تسليط الضوء على الفدائي والمسبل اللذي قدم الكثير لثورة التحرير الوطني، مما دفعني للبحث وأوكلت له مهمة وضع القنابل اليدوية أو قتل الخونة أو ضباط فرنسا ممن عرفوا بكرههم للجزائريين، فوجدت عمي الطاهر حسين، فدائي بالمنطقة الحرة بالعاصمة، الذي كابد عناء المجيئ إلى مقر جريدة "الشعب" ليدلي بشهادته دون أن يبخل علينا بأدنى معلومة، فكان لنا معه هذا اللقاء...

يروي لنا عمي الطاهر، أن أولى العمليات الفدائية التي انطلقت في العاصمة، كانت ابتداءً من الأحد 31 أكتوبر إلى الفاتح نوفمبر 1954، الذي وافق 5 ربيع الأول 1374 هجري، قادها المجاهد عثمان بلوزداد، حيث وضع ثلاث قنابل يدوية، واحدة بمخزن البترول بميناء الجزائر، والثانية نفذها فوج محمد مرزوقي وأعضاؤها عباس المدني، فلورة وعبد القادر، وهذا برويسو مقر سونلغاز حاليا، وثالث هدف نفذه كل من الفدائي قاسي عبد الله وعبد الرحمان بمركز الهاتف بشارع عيسات إيدير (ساحة أول ماي حاليا).

علما أن العمليات الفدائية كانت تنفذ في ثلاث مدن كبرى هي الجزائر العاصمة، قسنطينة ووهران. وبرز على ساحة العمليات فدائيون صنعوا الحدث في شوارع العاصمة من أمثال ياسف سعدي، حسيبة بن بوعلي، علي لابوانت، عمر ياسف "الصغير"، محمود بوحاميدي، طالب عبد الرحمن وغيرهم كثيرون، واستشهد بعضهم في قلب العاصمة.

خلال عشرة أيام تم إلقاء القبض عليهم، بحكم أن العمليات لم تكن منظمة بل عمليات فردية وتطوعية، كما أن الفدائيين – يضيف محدثنا – لم تكن لهم تجربة في حرب العصابات وكان المرحوم رابح بيطاط يشرف على قيادة العاصمة رفقة مساعديه وهم اعمر أوعمران وبوجمعة سويداني وزبير بوعجاج.

وبحسبه فإن العمليات الفدائية الجريئة التي عاشتها العاصمة نهاية سنة 1956 إلى غاية سبتمبر 1957، جاءت استجابة لتوجيهات لجنة التنسيق والتنفيذ بعد المصادقة على قرارات مؤتمر الصومام. إذ استقر الشهيد العربي بن مهيدي بالعاصمة رفقة يوسف بن خدة وعبان رمضان، تمكنوا من تأطير خلايا الفدائيين وتنظيم العمليات العسكرية في شوارع وأحياء العاصمة.

وشملت العمليات وضع قنابل متفجرة في مراكز تجمع الجيش الفرنسي، ومراكز الشرطة والحانات، مثل تفجير كازينو "لاكورنيش" في 9 جوان 1957، واغتيال بعض الخونة والطغاة من المعمرين مثل "فروجي" الذي أغتيل في شوارع العاصمة نهاية 1956، كما أنه بتاريخ 03 نوفمبر 1954 وجد الاستعمار 150 قنبلة يدوية لم تنفجر وذلك ببئر مراد رايس، وبحي المدنية – صالومبي سابقا.

كان الفدائيون في البداية قلة، منهم عبد الرحمان لعلى وذبيح الشريف الذي استشهد مع رامل بتاريخ 26 أوت 1957 في قلب معركة الجزائر.

وقال المناضل حسين الطاهر، إن أكبر قنبلة تم تفجيرها بالمدنية، كانت بتاريخ 23 نوفمبر 1955 على الساعة 18:15 مساءً. كما قام محمد قاسم، بقتل المحافظ الفرنسي "فريدي" أمام مقر شرطة المرادية، حيث ألقي القبض على جعفر لبدي ومجقان ونفذ فيهما حكم الإعدام بتاريخ 20 جوان 1956. منوّها بدور الفنانين في دعم الثورة، كالمطربة فضيلة الجزائرية، الممثلة فريدة صابونجي، ومسؤولهما الكوميدي الكبير محمد حطاب، بما في ذلك فريق شرشال لكرة القدم تحت قيادة الرائد بوشمعة، الذي استشهد منهم 15 فردا.

وبالموازاة مع ذلك، قتل الكسندر وبيار بالبستار، هذا الأخير ينتمي إلى اليد الحمراء. وفي هذه النقطة قال المجاهد إن هذا الحدث له علاقة كبيرة بتفجير "تاب" بالقصبة، مؤكدا أنه منذ سنة 1956 كثرت العمليات الفدائية، وبالمقابل حكم بالإعدام على فوج محمد سرير

الفدائيات أدّين مهمّتهن كاملة... من أجل الوطن

وقويدر بالمدنية، بالإضافة إلى سبعة مناضلين آخرين من بينهم وفريناند ايفتون.

ولتنفيذ العمليات الفدائية في الحي الأوروبي، يجب على المناضل أن يرتدي اللباس الأوروبي ويحمل الجريدة التي يفضل قراءتها الفرنسيون، مع حمل السيجارة في اليد، كي لا يكتشف أمره. كما أن قيادة جبهة التحرير الوطني أصدرت أمرا بمنع غلق أبواب منازل القصبة، وأن تبقى مفتوحة ليسهل على أي فدائي الاختباء فيها بعد تنفيذ مهمته.

وضع القنابل في الملاعب والملاهي

وواصل عمي الطاهر حديثه قائلا، إن عملية وضع القنابل انتقلت إلى الملاعب التي كان يحضرها الأوروبيون وفرقهم الرياضية والفرق المسلمة، قائلا: "أتذكر أحداث سان توجان – بولوغين حاليا – لحضور مقابلة كرة القدم لفريق المولودية، حيث أحرقنا السيارات وقذفنا الحجارة"، مضيفا أن هذا العمل دفع بالفرق الكروية المسلمة إلى الانسحاب لغاية الاستقلال.

وبتاريخ 10 فيفري 1957 كلف سعيد تواتي كلاً من جوهر أكروز، وبوعلام رحال بوضع القنبلة بالملعب البلدي بالرويسو – 20 أوت 1955 حاليا – والتي خلفت ثمانية قتلى، في حين كلف باية حسين ومحمد بلامين بوضع القنبلة بملعب الأبيار.

وبعد إلقاء القبض على ياسف سعدي وبعض المناضلين، بدأ إدماج النساء في العمل الفدائي بالعاصمة، بتكليفهن بوضع القنابل بالأماكن التي يتواجد فيها الضباط العسكريون وغلاة المعمرين، حيث يتم اختيار الفتيات اللائي يشبهن الأوروبيات كي لا يكتشف أمرهن.

وبحسب عمي الطاهر، فإنه تم وضع ثلاث قنابل، الأولى وضعتها زهرة ظريف بيطاط بحانة "ميلك بار"، والثانية وضعتها سامية لخضاري بأحد المقاهي، في حين القنبلة الثالثة وضعتها جميلة بوحيرد بشارع موريتانيا، لكنها لم تنفجر، حيث اكتشف عامل في اليوم الموالي 1 أكتوبر 1956 القنبلة التي كانت مغطاة بوشاح.

ثم أصبحت العمليات الفدائية تستهدف الملاهي المتواجدة على السواحل منذ تاريخ 9 جوان 1957. وقد دفع الجزائريون ثمنها، حيث انتقم الأوربيون بقتل كل جزائري يجدونه في طريقهم. علما أنه قبل إضراب الـ 8 أيام، أي في 26 جانفي 1957، وضعت ثلاث قنابل من طرف زهية بن خرف الله، جاكلين قروج المعروفة بدانيال مين وجميلة بوعزة.

ولم يقتصر العمل الفدائي على الجزائر العاصمة فقط، بل عرفته قسنطينة أيضا بعملية الشهيد مسعود حملاوي وبوجريو وعملية البختي بوهران والبركة بجيجل.

وعن المهام التي أوكلت لعمي الطاهر، فكانت إطلاق الرصاص على العدو وأعوانه مع توفير اللباس والبطريات لإرسالها إلى الجبال، وجمع المال لمنحه للعائلات المعوزة خلال إضراب الثمانية أيام، حيث قامت جبهة التحرير الوطني بنزع الأسلحة وقررت أن يكون الإضراب حربا سلمية ويبقى الجزائريون في منازلهم، واستأنفت العمليات الفدائية بالعاصمة بعد انتهاء الإضراب أي بتاريخ 5 فيفري 1957.

بعد العمل السري بالعاصمة، فرّ عمي الطاهر نحو الجبل بالولاية الثالثة التاريخية وبالتحديد بالمنطقة الأولى بالأخضرية في أفريل 1958، لغاية 23 أكتوبر 1962، وعمره لم يتجاوز 20 سنة، حيث مر بظروف صعبة وهناك كانوا ينصبون الكمائن للجيش الفرنسي، وما كان يخيفهم الطيران الحربي، كونه يقصف من كل جهة ولا أحد يسلم منه. وبحسبه أن الجحيم الأكبر هو بعد وصول الجنرال ديغول إلى الحكم سنة 1958، ومخططه الجهنمي "شال".

منوها في معرض حديثه، بما قامت به قيادة جبهة التحرير الوطني، من تكوين إطارات أكفاء لتحضرهم لما بعد الاستقلال.

وانتهى العمل الفدائي بالعاصمة مع انتهاء معركة الجزائر، مما دفع بالمناضلين للفرار نحو الجبال، مبرزا الدور الكبير الذي لعبه الفدائيون وأعمارهم تتراوح ما بين 13 إلى 15 سنة، قائلا إن هؤلاء المناضلين كانوا يفرحون ويفتخرون حين توكل لهم مهمة قتل ضابط أو خائن أو وضع قنبلة، كونهم وطنيون، كما أن أصغر مجاهد بالونشريس كان عمره 13 سنة، لأن والديه توفيا فأخذه جيش التحرير معهم.

ويأمل عمي الطاهر أن يكون الاحتفال بالذكرى 60 لاندلاع الثورة المباركة في مستوى عظمة هذا الحدث، قائلا: "عندما أرى شبابنا إطارات في مناصب عليا أبتهج، لأن هذا كان حلما مستحيلا إبان الاستعمار ، كون فرنسا الإستعمارية لم تهضم لحد اليوم استقلالنا الذي انتزعناه بقوة السلاح ودماء الشهداء، وعلى أبنائها الحفاظ على ما حققه أجدادهم الأبطال.

المجاهـــدة دهـــواني ورديـــة

ساعدت العقيد عميروش، مليكة قايد والشيخ المختار

لم أكن أتصور يوما ونحن نحيي الذكرى الستين لاندلاع ثورة نوفمبر الخالدة في أذهان الشعب الجزائري وشعوب العالم، أن أجد مجاهدة بحجم السيدة دهواني وردية، التي كانت تناضل في صفوف الثورة التحريرية بالولاية الثالثة، إلى جانب قادة زعماء استشهدوا في ساحة الوغى، كالعقيد عميروش والشهيد بلوشات المولود والشهيد الشيخ المختار وبوزناد أحمد سالم والشهيدة مليكة قايد، ولم نسمع عنها لأن وسائل الإعلام تجاهلتها وحتى الباحثين الذين من المفروض تعميق بحوثهم لمجاهدين ومجاهدات غير معروفين.

مسؤوليتي كأم لم تمنعني من تحمل واجب الدفاع عن الجزائر

دليلة أوزيان

الزيارة التي قادتنا إلى البيت الذي أعاره لها مالكه لتقيم فيه هي وعائلتها بالقبة، جعلنا نقف على حجم تضحيات هذه المجاهدة البطلة، التي أصبحت اليوم عاجزة عن الحركة، بسبب ما قاسته من ويلات المستعمر الفرنسي الذي مازالت آثاره تتجلى لدى الكثير من المجاهدات والمجاهدين أطال الله في أعمارهم.

إنها المجاهدة دهواني وردية، التي لبّت نداء الثورة بعد أن وقفت عن كثب على الأوضاع المأسوية التي كان يتخبط فيها أبناء منطقتها في حربيل قنزات ببوقاعة بولاية سطيف على الخصوص وعامة الشعب الجزائري على العموم، بسبب سياسة العدو الغاشم الهادفة إلى القضاء على الثورة والثوار.

تكفلت هذه المجاهدة ومنذ انطلاق الثورة التحريرية سنة 1954 بإيواء المجاهدين في بيتها بقنزات ببوقاعة، حيث شهدت جبالها معارك ضارية، إذ اتخذ بيتها مخبأ للمجاهدين وتكفلت بإطعامهم وخياطة وغسل ملابسهم.

كانت خالتي وردية، كما يناديها سكان حي الباهية ببن عمر بالقبة بالعاصمة اليوم، لا تزال في ريعان شبابها، إذ لم يتجاوز عمرها 23 سنة، ولم تمنعها مسؤوليتها كأم لولد وبنت أن تحمل على عاتقها واجب الجهاد دفاعا عن وطنها، سيما وأن زوجها كان ينشط في فيدرالية فرنسا.

ونظرا لما تميّزت به من خصال حميدة ووفاء لمبادئ الثورة، كلفها آنذاك الشهيد بلوشات المولود بجمع الاشتراكات، أموال كانت تجمعها من سكان المنطقة وتسلمها للمجاهدين، بالإضافة إلى إيصال الرسائل لهم، حيث كانت تخبئها تحت ضفائر شعرها حتى لا تثير انتباه العدو.

ويعود لها الفضل في إسعاف العديد من جرحى ثورة التحرير، بنقلهم إلى بيت الشهيدة مليكة قايد التي كانت لها خبرة كبيرة في مجال التمريض، وملمّة بأبجديات الطب، ما سمح بإنقاذ العديد منهم في هذه المنطقة النائية "حربيل بقنزات" التي تفتقر لمثل هذه الخدمات الصحية الضرورية...

وهي تروي لنا قصتها تعود الذاكرة بهذه المجاهدة البطلة دهواني وردية، إلى اليوم الذي صادفت فيه مجاهدا ملقى على الأرض بعد اشتباك عنيف وقع بين مجموعة من المجاهدين وجنود العدو الفرنسي. اعتقدت في البداية أنه ميّت، لكنها عادت أدراجها عندما سمعته يئنّ، فحملته على ظهرها باتجاه بيت الممرضة مليكة قايد، وقد سبب لها ثقل المجاهد الجريح تمزقا عضليا على مستوى كتفها. وشاءت العناية الإلهية أن تواصل نضالها وكفاحها غير مهتمة بما تعانيه جراء هذه الإصابة...

بعد الاستقلال رفض أخوها أن تخرج خالتي وردية للعمل خارج البيت وتحمّل هو مسؤوليتها، إذ انتقلت للسكن بجواره بحسين داي بالعاصمة، حافظا لها بذلك كرامتها كامرأة وكمجاهدة، في وقت رفض فيه زوجها العودة إلى الجزائر.

وحتى عندما اشتد عليها المرض، فضلت هذه المجاهدة أن لا تمدّ يدها لأحد، غير أن اشتداد الحاجة، خاصة بعد وفاة أخيها، جعلها تطرق أبواب وزارة المجاهدين للاعتراف بحقها.

ولأن الأمر لم يكن بالسهولة، فقد انتظرت لأكثر من خمس سنوات لتنال حقها المشروع، خاصة وأن جميع الوثائق التي بحوزتها، أطلعتنا على نسخ منها، بيّنت ذلك.

غادرنا المسكن العائلي للمجاهدة وقد حمّلتنا مناشدتها الجهات الوصية بأن تتكرم وتمنحها سكنا لائقا يحفظ لها كرامتها في بلد آمنت وناضلت من أجله.

هي هكذا المرأة الجزائرية رمز للعطاء والتضحية، رحم الله كل شهدائنا ومجاهدينا ومتع الله الأحياء منهم بالصحة والعافية.

دبلوماسيون بالفطرة قادوا النشاط السياسي ببراعة

صنع الجزائريون واحدة من أكبر الثورات التحريرية في التاريخ، وتوّجوها بالنصر العظيم الذي ستستمر الأجيال في تناقل تفاصيله عبر مر الزمان.
النصر هذا، يشبهه بعض بالمعجزة، قياسا بفارق القوة بين فرنسا الاستعمارية والجزائر المحتلة آنذاك، لا يعود فقط إلى الكفاح المسلح الذي خاضه البواسل الجزائريون ولا إلى تضحياتهم الجسام على مذبح الحرية، وإنما أيضا إلى المعركة الشرسة التي قادتها بحنكة واقتدار الآلة الدبلوماسية التي أطلقها قادة الثورة لتشق الطريق نحو تدويل القضية الجزائرية وعرضها أمام الهيئة الأممية وكسب التأييد والدعم العالميين، إلى أن خضعت فرنسا للأمر الواقع مهزومة مذلولة وانسحبت تجرّ أذيال الخيبة، تتبعها لعنة ضحايا جرائمها اللاإنسانية التي ارتكبتها في جنتها المفقودة طيلة 132 سنة.

مؤتمر باندونغ 17 أفريل 1955

فضيلة دفوس

عندما تتحدث بعض الكتابات التاريخية عن النشاط السياسي للثورة، تشير إلى أن إقلاع الآلة الدبلوماسية كان بعد ثلاث سنوات من اندلاع الكفاح المسلح وتحديدا بعد ميلاد الحكومة المؤقتة في 19 سبتمبر 1958. لكن الحقيقة، أن قادة حرب التحرير أدركوا منذ البداية، أن نجاح الثورة يقوم على دعامتين: عسكرية ودبلوماسية، وعلى صعيد داخلي وخارجي. لهذا، فإن العمل الدبلوماسي انطلق مع بداية الحرب التحريرية لإبلاغ العالم بعدالة القضية الجزائرية ولربح الدعم والاعتراف الدوليين بها.

حتى دوّى صيتها من على الكثير من المنابر والمحافل العالمية، بما أتاح كسب الأصدقاء والمساعدات وفضح الاستعمار وعزله ومن ثم هزمه.

حرب التحرير - إذن - لم تكن محصورة في كفاح مسلح في الداخل فقط، بل كانت أيضا نشاطا دبلوماسيا مدروسا، تحددت أهدافه منذ البداية فيما يلي:

1. تدويل القضية الجزائرية من خلال ربح الأصدقاء والمساندين؛
2. عزل الاستعمار سياسيا وإنهاكه إعلاميا؛
3. إبلاغ الرأي العام العالمي بنزاهة القضية الجزائرية وكشف جرائم فرنسا؛
4. الحصول على المساعدات المادية والمعنوية.

وأول محفل دخلته القضية الجزائرية كان مؤتمر «باندونغ» الأفرو - آسيوي، المنعقد في 17 أفريل 1955، أي بعد أقل من نصف سنة على اندلاع الثورة المظفرة.

وقد كان هذا المؤتمر بمثابة نقطة دعم قوية للقضية الجزائرية، واختتم ببيان تضامني مع ثورتها.

وقد كان للأشقاء العرب والأصدقاء الفضل الكبير في إعلاء صوت الجزائر في هذا المحفل التاريخي.

وما بين 2 ماي و13 جوان من نفس السنة (1955)، عقدت المجموعة الأفرو - آسيوية 13 اجتماعا في كواليس منظمة الأمم قصد إدخال القضية الجزائرية إلى الهيئة الأممية وإدراجها في اجتماعاتها، كما تمكنت من إيصال تقرير إلى مجلس الأمن لمناقشة المسألة الجزائرية، لكن الفيتو كان بالمرصاد.

نحو مبنى الأمم المتحدة

رغم التواطؤ الغربي الذي كان يسد منافذ الشرعية الدولية، إلا أن الدبلوماسية الجزائرية لم تيأس من المحاولة مرات عديدة لبلوغ الهيئة الأممية، وفعلا بدأت اللجنة السياسية للأمم المتحدة في 4 جوان 1956 مناقشة قضية تحرير الجزائر. وككل مرة، اصطدمت الكتلة الآفرو - آسيوية بمعارضة قوية من الدول الداعمة للاستعمار الفرنسي وفي مقدمتها الدول الأوروبية، وهنا أدرك قادة الثورة أن النضال السياسي بلغ مرحلة تستدعي إقرار هيكل رسمي يحتضنه ويقوده ويشرف على أيّ مفاوضات محتملة مع الاستعمار، وقبل ذلك وبعده، الرفع من معنويات المجاهدين والشعب الجزائري على حد سواء، باعتبار أن تشكيل هذا الهيكل سينظر إليه كمؤشر على قرب الاستقلال وهذا في حد ذاته له أثره النفسي الإيجابي على كل الجزائريين.

الحكومة المؤقتة

في 19 سبتمبر 1958 أعلن المجلس الوطني للثورة ميلاد الحكومة المؤقتة، الذي بدأ مشروعا ثم تبلور في مؤتمر الصومام (20 أوت 1956). فالتنظيم السياسي والديبلوماسي للثورة، كما العسكري تماما، بدأ مع هذا المؤتمر الذي حدد المهام وسمح بتنصيب لجنة التنسيق والتنفيذ التي لعبت دور هيئة

مهتمة بالشؤون الخارجية.

وقد سعت الحكومة المؤقتة بقيادة فرحات عباس، إلى إعطاء الثورة دفعا قويا من خلال توفير الأموال والسلاح وحشد الشعب الذي التحق بكثافة بصفوف القتال، فوجود الحكومة - كما سبق وقلت - أثر إيجابيا في نفسية الشعب والمجاهدين، لأنهم كانوا ينظرون إليها على أنها مؤشر عن قرب الاستقلال.

مضت الحكومة في الترويج للقضية الجزائرية وفرضتها بقوة في العالم، كما فضحت مناورات الاستدمار ومخططاته المخادعة، بدءاً بسلم الشجعان ومشروع قسنطينة ومخطط شال وموريس والأسلاك الشائكة المكهربة والاستعانة بقوات الأطلسي، وتزايدت أعداد المقتنعين بشرعية حرب التحرير وهذا كله بفضل رجالات لم يتخرجوا من معاهد أو مدارس متخصصة، لكنهم برعوا في قيادة العمل السياسي والنجاح في بلوغ الأهداف المنشودة.

دبلوماسيون محنّكون بالفطرة

مباشرة بعد تشكيل الحكومة المؤقتة، وزعت المهام وحددت الأهداف وانطلق محمد الأمين دباغين، الذي عين وزيرا للخارجية في أول تشكيلة للحكومة المؤقتة ما بين 1958 و1960، في جولات خارجية شملت العديد من الدول، ثم خلفه كريم بلقاسم في نفس الوزارة في التشكيلة الحكومية الثانية مابين 1960 و1961 وقام بجولة قادته إلى البلدان الاشتراكية وإلى الصين أين استقبل من طرف الزعيم ماوتسي تونغ، كما حظي باستقبال جماهيري حافل، وكان من نتائج هذه الزيارة زيادة حجم المساعدات الصينية عسكريا وصحيا وماليا.

كما تحرك كريم بلقاسم باتجاه الأشقاء العرب وكانت الثمار زيادة حجم المساعدات العربية.

ربح معركة الخارج

منذ البداية تحدّد هدف القيادة الجزائرية في بلوغ الهيئة الأممية وإدراج القضية هناك، وقد تحقق الهدف في 20 سبتمبر 1957، وبعد أسابيع أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة في 15 أكتوبر 1957 لائحة تعترف فيها، لأول مرة، بحق الشعب الجزائري في تقرير مصيره والاستقلال، وتدعو إلى إيجاد حل سلمي وديمقراطي للقضية الجزائرية التي أصبحت تشكل وجعاً للعالم.

أعطى دخول القضية الجزائرية أروقة الأمم المتحدة، دفعًا قويا للآلة الدبلوماسية ورفع من معنويات رجالها. وبعد شهر خرجت لجنة التنسيق والتنفيذ إلى الخارج لمواصلة المعركة التي لم تكن سهلة بالمرة، وعادت بمكاسب جديدة من خلال حصد المزيد من الدعم العربي والغربي.

بعد 1957، التي كانت سنة الجزائر في الأمم المتحدة، أصبحت القضية الجزائرية تطرح في كل دورة أممية.

وفي ظرف سنوات معدودات اشتد عود الدبلوماسية الجزائرية وتزايدت مكاسبها، في حين تقهقر موقف فرنسا وأصبح حلفاؤها ينفضّون من حولها، ما جعلها تعيد حساباتها وترضخ صاغرة لمنطق الواقع وتجنح، منهزمة لا منتصرة، إلى المفاوضات مع من كانت تنعتهم إلى وقت غير بعيد بـ«الإرهابيين».

لقد استعمل الرئيس الفرنسي «ديغول» كل الوسائل والطرق لإجهاض الثورة وقمعها وعبثاً حاول، لكنه رضخ في النهاية ودعا عبر خطاب ألقاه في جوان

الإعلام سلاح فتاك

منذ البداية راهنت دبلوماسية الثورة على تدويل القضية الجزائرية وربح المعركة السياسية في الخارج، لهذا امتطت مركبة الإعلام وأخذت تجوب أصقاع المعمورة، معرّفة بعدالة المسألة الجزائرية وشرعية حرب التحرير، ونظمت برامج إذاعية تحت عنوان «صوت الجزائر» كانت تبث باللغة العربية من الرباط وتيطوان وطنجة بالمغرب، ومن تونس والقاهرة- وظلت هذه البرامج تذاع حتى بعد إنشاء الإذاعة السرية للثورة في قلب الجزائر عام 1957. كما كانت إذاعات الدول الصديقة تذيع أخبار الثورة بلغات متعددة...وقد خدمت هذه البرامج الإذاعية حرب التحرير، فكانت أداة فعّالة في غرس روح النضال وتقوية الإيمان بالنصر ورفع معنويات الجماهير الجزائرية في الداخل والخارج وحشدها وراء الثورة المظفرة، كما كانت خير وسيلة لتمرير وإنجاح الدور الدبلوماسي لقيادة حرب التحرير.

ولأهمية الإعلام، الذي كان بالفعل سلاحا فتّاكا في وجه الاستدمار الفرنسي، دعمت جبهة التحرير الوطني ترسانتها الإعلامية بإصدار صحيفتين هما «المجاهد» سنة 1956 و«المقاومة الجزائرية» 1955 والتين كانتا لسان حال الجبهة.

1960 إلى المفاوضات. والواقع، أن ديغول الذي كان يتمسك بحدود فرنسا من بحر الشمال شمالا إلى بحر الرمال جنوبا، لم يقبل بمبدإ تقرير المصير إلا بعد الفشل الذريع الذي مني به برنامجه العسكري والاقتصادي والاجتماعي في فرنسا وتصاعدت نقمة الشعب الفرنسي عليه لعجزه عن وقف الحرب في الجزائر.

قيادة المفاوضات باقتدار

في 24 جوان 1960، وجه الرئيس الفرنسي نداءً لقيادة الثوار وهي أول مرة يصف فيها المجاهدين بهذا الإسم، بعد أن كان ينعتهم بالارهاب، وطلب منهم الحضور إلى فرنسا للتفاوض. وبعد عشرة أيام، بدأت محادثات سرية لتحديد مكان وزمان لقاء الوفدين الجزائري والفرنسي وهي «محادثات مولان» التي جرت من 23 إلى 29 جوان 1960 لجس النبض.

وفي 20 ماي 1961، انطلقت «مفاوضات إيفيان» الأولى، لكنها توقفت في 12 جوان لخلاف حول ثلاثة شروط أرادت فرنسا فرضها وهي:

- قبول الجزائريين بوضع خاص للجالية الأوروبية في الجزائر؛
- عدم اعتبار الصحراء جزءاً من الجزائر،
- قضية توقيع اتفاق وقف إطلاق النار.

وقد تجلّى أن الوفد الجزائري بقيادة فرحات عباس لم يكن سهلا، حيث رفض تقديم أي تنازلات ترهن سيادة الجزائر على كل أراضيها. ولتأكيد التنسيق بين العسكري والسياسي، فإن الثورة صعّدت من عملياتها حتى تمنح للحكومة وسيلة ضغط في المفاوضات.

كما كان لخروج الشعب في مظاهرات هاتفا «الصحراء جزائرية» ثقله، حيث عزز موقف المفاوض الجزائري، ولم يجد ديغول بدّا غير الرضوخ، فاعترف في سبتمبر 1961 بجبهة التحرير الوطني وتمثيلها للشعب الجزائري وأقرّ بجزائرية الصحراء.

ثم عقدت مفاوضات «إيفيان الثانية» مابين 7 و18 مارس 1962 والتي أقرّت تنظيم استفتاء تقرير المصير.

وعشية 18 مارس، وقعت اتفاقيات إيفيان على الساعة الخامسة والنصف مساء ودخل وقف إطلاق النار حيّز التطبيق في منتصف اليوم الموالي.

وأقرّ مؤتمر طرابلس، الذي انعقد في جوان 1962 خطة تنظيم الدولة الجزائرية المستقلة في الخامس جويلية 1962، لتتوج سبع سنوات من الكفاح المسلح والنضال السياسي بالنصر العظيم.

ولا يفوتنا في الأخير، أن نشدد على أن الانتصار التاريخي الذي حققه الجزائريون قبل 52 عاما يعود بالأساس إلى ذلك التنسيق والتكامل الذي كان يربط العسكري بالسياسي، فالآلة الديبلوماسية كانت تتحرك بالتنسيق مع الآلة العسكرية، وكلما كانت الضغوط الفرنسية تضيّق الخناق على إحداها، كانت الأخرى تسارع إلى نجدتها، فعندما كان المفاوض الفرنسي يشدد الخناق على المفاوض الجزائري، كانت الثورة المسلحة تكثف هجماتها حتى تفك هذا الخناق، ولما كانت الثورة تتعرض لضربات موجعة، كانت الآلة الديبلوماسية تسارع للتحرك خارجيا بشن حملات إعلامية ضد المستعمر. ويكفي دليلا على نجاعة الديبلوماسية الجزائرية أنه بحلول 1962 حازت الحكومة المؤقتة على اعتراف 36 دولة، وهو رقم ليس بالهين، بالنظر إلى الحصار الذي كانت فرنسا والمتواطئون معها يفرضونه على الشرعية الدولية والقضية الجزائرية.

التشكيلات الثلاث للحكومة المؤقتة

تم الإعلان الرسمي عن تشكيل الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية في القاهرة بتاريخ 19 سبتمبر 1958. وقد جاءت هذه الحكومة تنفيذا لقرارات المجلس الوطني للثورة الجزائرية في اجتماعه المنعقد في القاهرة من 22 إلى 23 أوت 1958.

التشكيلة الأولى من 1958 إلى 1960

- فرحات عباس، الرئيس
- كريم بلقاسم، نائب الرئيس ووزير القوات المسلحة
- حسين آيت أحمد، نائب الرئيس
- رابح بيطاط، نائب الرئيس
- محمد بوضياف، وزير الدولة
- محمد الأمين دباغين، وزير الخارجية
- محمد الشريف، وزير التسليح والتموين
- لخضر بن طوبال، وزير الداخلية
- عبد الحفيظ بوالصوف، وزير الاتصالات والمواصلات
- عبد الحميد مهري، وزير شؤون شمال إفريقيا
- أحمد فرنسيس، وزير الشؤون الاقتصادية والمالية
- أمحمد يزيد، وزير الإعلام
- بن يوسف بن خدة، وزير الشؤون الاجتماعية
- أحمد توفيق المدني، وزير الشؤون الثقافية

كما ضمت التشكيلة ثلاثة كتاب دولة.

.. الثانية من 1960 إلى 1961

- فرحات عباس، الرئيس
- كريم بلقاسم، نائب الرئيس ووزير الخارجية
- أحمد بن بلة، نائب الرئيس
- حسين آيت أحمد، نائب الرئيس
- محمد بوضياف، وزير الدولة
- محمد خيضر، وزير الدولة
- عبد الحميد مهري، وزير الشؤون الاجتماعية والثقافية
- عبد الحفيظ بوالصوف، وزير التسليح والاتصالات العامة
- أحمد فرنسيس، وزير المالية والشؤون الاقتصادية
- أمحمد يزيد، وزير الإعلام
- لخضر بن طوبال، وزير الداخلية.

.. الثالثة من 1961 إلى 1962

- بن يوسف بن خدة، رئيسا ووزيرا للمالية والشؤون الاقتصادية
- كريم بلقاسم، نائب الرئيس ووزير الداخلية
- أحمد بن بلة، نائب الرئيس
- محمد بوضياف، نائب الرئيس
- حسين آيت أحمد، وزير دولة
- رابح بيطاط، وزير دولة
- محمد خيضر، وزير دولة
- لخضر بن طوبال، وزير دولة
- سعد دحلب، وزير الشؤون الخارجية
- عبد الحفيظ بوالصوف، وزير التسليح والاتصالات العامة
- أمحمد يزيد، وزير الإعلام.

قضية عادلة.. حازت على الدعم المغاربي

تونس.. ليبيا والمغرب قواعد خلفية للثوار الجزائريين

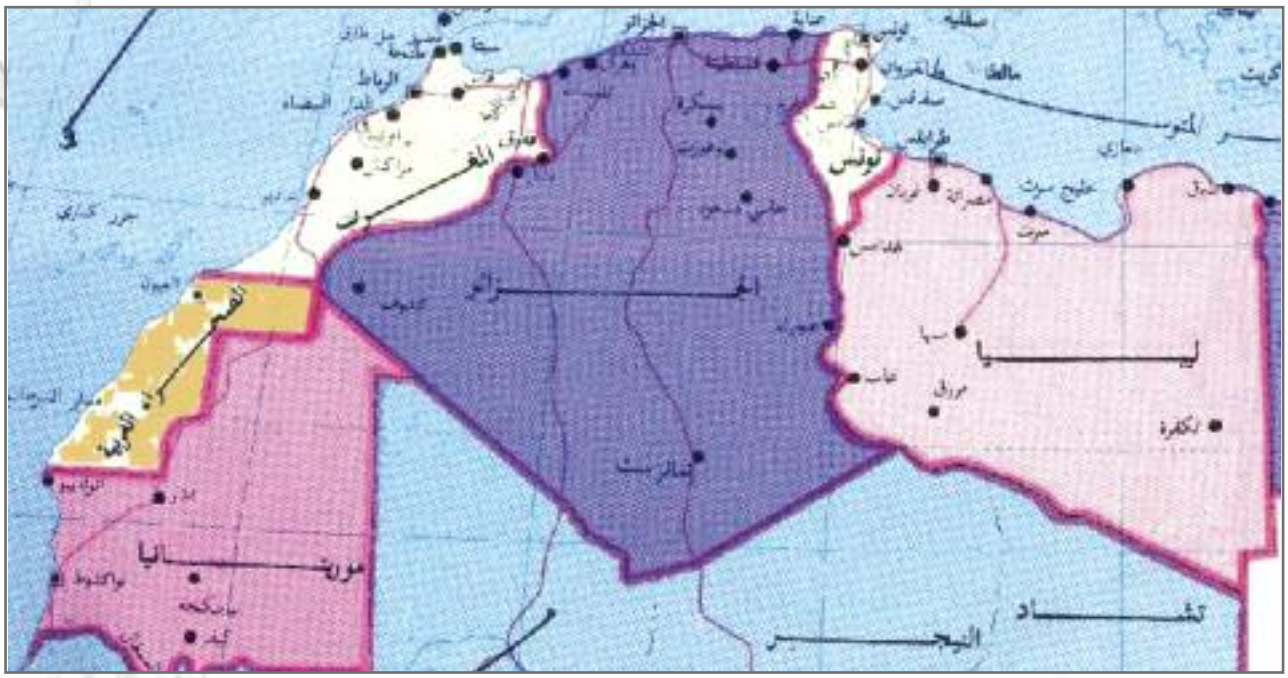

يرجع الفضل في انتصار الثورة الجزائرية إلى وضوح أهدافها والتضحيات الهائلة التي قدمها الشعب الجزائري الذي عبأ كل طاقته لتحقيق الانتصار، يضاف إلى ذلك الأساليب المبتكرة التي لجأ إليها المجاهدون والمجاهدات لتوجيه الضربات الأليمة لجيش متفوق في العدد والعدة وأخيرا التأييد العربي (قواعد الثوار في تونس والمغرب والدعم الشعبي والمادي الواسع من مصر عبد الناصر وسورية والعراق والعالمي دول العالم الثالث والدول الاشتراكية وسنكتفي في هذا الموضوع بالتطرق إلى البعد المغاربي للثورة وموقف كل من تونس والمغرب وليبيا تجاهها.

س/ ناصر

اندلعت الثورة في الفاتح نوفمبر 1954 تحت قيادة ساهمت مساهمة فعالة في التحضير لها وتفجيرها وتتكون من جماعة الداخل وهم الستة بقيادة محمد بوضياف والوفد الخارجي المتكون من الثلاثي محمد خيضر، أحمد بن بلة، حسين آيت أحمد، اسندت إليهم مهمة التعريف بالقضية الجزائرية وفق بيان أول نوفمبر في المحافل الدولية وبدأت جبهة التحرير بالمحيط المباشر المتمثل في الدول العربية وأولها البلدان المغربية.

وأكد ميثاق مؤتمر الصومام على أنه من واجب القيادة الجزائرية أن تحرص بانتظام على المحافظة على استقلال الثورة استقلالا اما.

وأن تعطي طابعا شموليا للنشاط الدبلوماسي بحيث يستهدف الحصول على أكبر قدر من دعم دول العالم للاستفادة من تضامنهم مع القضية العادلة للشعب الجزائري والحصول على دعمها المادي (أدوية ـ ألبسة ـ أغذية ـ أسلحة) أو المعنوي من خلال كسب اصواتها لفائدة الجزائر في الجمعية العامة للأمم المتحدة والاعتماد أيضا على دعم الدول العربية خاصة العراق، تونس والمغرب لكسب مواقع جديدة سواء عن طريق الجامعة العربية أو الكتلة الآفرو آسيوية وهيئة الأمم، من أجل السعي لحزب فرنسا بالضغط عليها عن طريق الدول المؤيدة من دول الكتلة الآفرو آسيوية وتجريدها من دعم وتأييد الدول الموالية لها خصوصا الدول الغربية.

مؤتمر طنجة 1958

انطلاقا من أدبيات الحركة الوطنية الهادفة إلى وحدة الشمال الافريقي فإن جبهة التحرير الوطني سخرت كل مساعيها الدبلوماسية لتحقيق هذا الهدف خاصة وأن موجة التحرر التي عرفتها البلدان الثلاثة جعلت الفرصة سانحة لجعل هذا المسعى حقيقة واقعة.

فالمغرب وتونس حققا إلى حد كبير مطلبيهما وأصبحا يتمتعان بالحرية والاستقلال بداية من شهر مارس 1956 ولم يعد ينقص بناء المغرب العربي سوى استرجاع الجزائر لسيادتها ولتحقيق ذلك لابد من مآزرة البلدين للثورة الجزائرية.

وانعقد مؤتمر طنجة مابين 27 و 30 أفريل 1958 في ظروف خاصة وبعد قنبلة ساقية سيدي يوسف في 8 فيفري 1958 للضغط على الرئيس بورقيبة.

كما عملت قيادة الثورة التحريرية الجزائرية على تعزيز تواجدها في الساحة الدولية وذلك بتكثيف حضورها في المؤتمرات والندوات الدولية وتوثيق صلتها بالمنظمات غير الحكومية في الدول الغربية وإنشاء مكاتب خارجية عبر مختلف دول العالم بهدف كسب الدعم المادي والمعنوي لفائدة القضية الجزائرية.

أكد بيان أول نوفمبر 1954 على البعد المغاربي لثورتنا التي تسعى إلى تحقيق إتحاد المغرب العربي الذي يعد أحد الأهداف الأساسية لحزب نجم شمال إفريقيا الذي جمع نضال الحركة العمالية المغاربية في المهجر بفرنسا، وتجسدت أواصر التضامن بين الشعوب المغاربية في

أول الأمر إلى استقبال وايواء اللاجئين الجزائريين الفارين من البطش الفرنسي بعد استقلال تونس والمغرب.

إضافة إلى عمليات الامداد بالأسلحة وتموين الولايات انطلاقا من أراضيهما، وهو ما تطلب إنشاء مراكز عبور وتدريب قوافل الامداد على طول الحدود الجزائرية التونسية شرقا والجزائرية المغربية غربا فضلا على الحدود الليبية جنوبا بدءا من جويلية 1957 إثر قرار لجنة التنسيق والتنفيذ القاضي بتعزيز الكفاح المسلح بفتح الجبهة الصحراوية رغم إقدام فرنسا على تطويق جميع الحدود الجزائرية بخطي شال وموريس وقنبلتها لمنطقة ساقية يوسف التونسية بدعوى احتضانها للثوار الجزائريين وتعزز التضامن المغاربي مع الثورة الجزائرية إثر انعقاد مؤتمر طنجة بالمغرب في أفريل 1958 والمهدية في جوان 1956 وكان من نتائجهما التأكيد على دعم الثورة الجزائرية جاء نتيجة لإقدام السلطات الفرنسية على اختراق سيادة تونس والمغرب بداية من حادثة اختطاف الطائرة التي كانت تقل الزعماء الخمس 22 أكتوبر 1956 ثم قنبلة إذاعة الثورة بمنطقة الناظور بالمغرب الأقصى ومركز العربي بن مهيدي بوجدة التابع لجيش التحرير.

أما بخصوص العلاقات مع ليبيا فقد تميزت بطابعها الحيوي بحكم أنها منطقة عبور هامة عبرت من خلالها معظم الأسلحة والذخيرة. حيث تم امداد جيش التحرير بالحدود ومن ثمة إلى الولايات وبدأت تتوسع العملية ابتداء من جويلية 1957 بعد قرار قيادة الثورة فتح جبهة الصحراء الكبرى، حيث أقدم الرائد «إيدير مولود» المكلف بفتح هذه الجبهة بمهاجمة قافلة عبور فرنسية كانت قادمة من توقرت ليتحصن بعد ذلك في التراب الليبي إثر ملاحقته من طرف الجيش الفرنسي، لكنها لم تتراجع في دعمها للثورة الجزائرية بل تركت أراضيها لانشاء مراكز جيش التحرير الوطني وتسهيل عمليات الإمداد جوا وبرا، وأحتضنت معظم دورات المجلس الوطني للثورة الجزائرية (ديسمبر 1959 ـ أوت 1961 ـ ماي جوان 1962).

وأعلن الملك إدريس السنوسي مقاطعة ليبيا للتعامل التجاري مع فرنسا واثناء زيارة توفيق المدني لليبيا بلغ التضامن الليبي مع الثورة أوجه، حيث صرح قائلا: إن ليبيا لا تؤيد الكفاح التحرري للجزائر فقط بل هي تشترك فيه روحا وبدنا.

إن ليبيا شكلت قاعدة خلفية حقيقية للثورة إلى غاية استرجاع السيادة الوطنية.

المجاهد ياسف سعدي يروي قصته مع الإنتاج والتمثيل

"معركة الجزائر"... مفخرة السينما الثورية

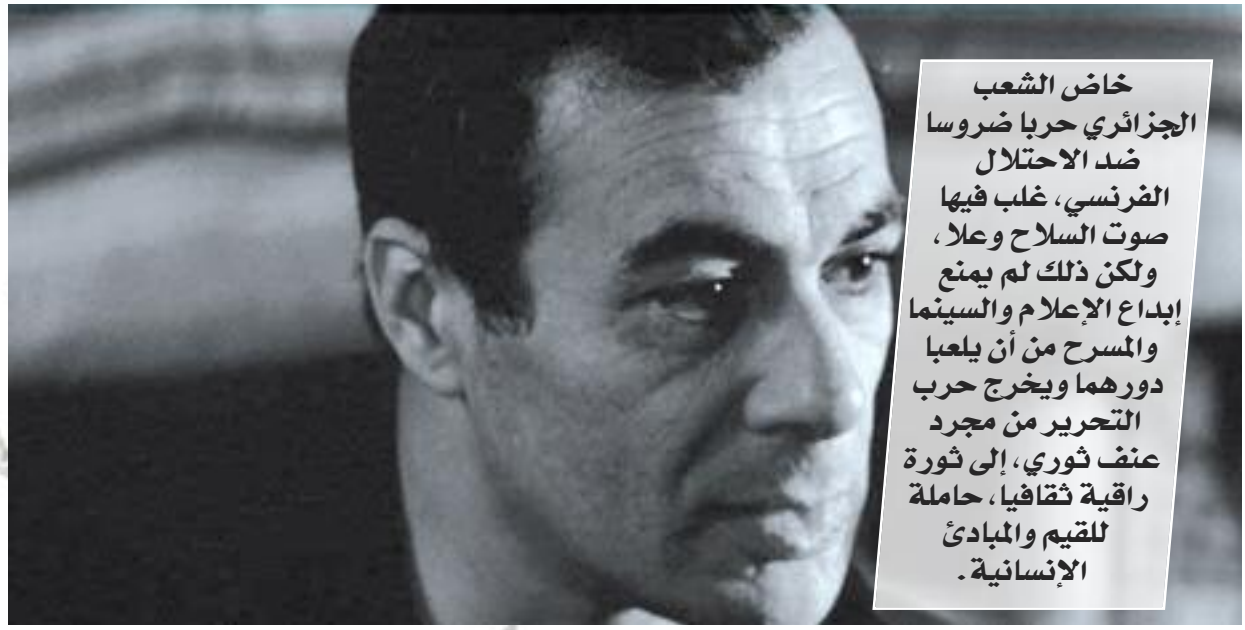

خاض الشعب الجزائري حربا ضروسا ضد الاحتلال الفرنسي، غلب فيها صوت السلاح وعلا، ولكن ذلك لم يمنع إبداع الإعلام والسينما والمسرح من أن يلعبا دورهما ويخرج حرب التحرير من مجرد عنف ثوري، إلى ثورة راقية ثقافيا، حاملة للقيم والمبادئ الإنسانية.

أسامة إفراح

وفي السنة الثالثة من الثورة، افتتحت أول مدرسة سينمائية لتعلّم مبادئ الفن السابع، أشرف فيها المخرج الفرنسي رونيه فوتييه على تدريب عدد من المبدعين أمثال محمد الأخضر حمينة (الذي نال السعفة الذهبية)، وأحمد راشدي، وجمال الدين شندرلي، وأحمد جنيدي، ومحمد قنز. وحاول هؤلاء التأريخ المصور لبطولات الثوار ودحض الدعاية الفرنسية...

لكن المشوار لم يتوقف باستقلال الجزائر، بل صارت المهمة أنبل وأصعب: تخليد ثورة فريدة من نوعها، ألهمت العالم وصارت عنوانا ضد الاستعمار والإمبريالية... وبدأت فترة الأفلام الروائية الثورية والصناعة السينمائية الاحترافية، التي أنجبت روائع كان أهمها "معركة الجزائر"، أحد أفضل الأفلام في تاريخ السينما، والذي يروي لنا منتجه، المجاهد ياسف سعدي، جانبا من خبايا تصويره.

أردنا تخليد الإنجاز العظيم للجزائريين

لقد كانت سنة 1966 فألا حسنا على السينما الجزائرية، ففي هذه السنة كادت رائعة "ريح الأوراس" لمحمد الأخضر حمينة أن تفتك السعفة الذهبية بمهرجان كان... وفيها أيضا نال "معركة الجزائر" الأسد الذهبي في مهرجان البندقية، ورشح لنيل أوسكار أحسن فيلم أجنبي. (سيرشح سنتان بعد ذلك لأوسكار أحسن إخراج وأحسن سيناريو). ويقول منتج الفيلم، المجاهد ياسف سعدي، إنه جاء ليخلد "الإنجاز العظيم الذي قام به الجزائريون، رغم الظروف التي كانت في الغالب ضدهم".

«أذكر حينما رُشح الفيلم لأول مرة لجائزة الأوسكار، كما أذكر كيف حاز على الأسد الذهبي في مهرجان البندقية السينمائي... لقد حصد الفيلم حوالي 50 ترشيحا لجوائز في مختلف المناسبات... أجرينا العديد من الحوارات (حوالي العشرين) حينها، وأنا أشعر بالفخر والاعتزاز لهذا الإنجاز".

ويصرّ ياسف سعدي على أهمية مثل هذه الأفلام، "صحيح أن الحرب انقضت، ولكن يتوجب على الأجيال القادمة أن تعرف ما الذي استطاع أجدادهم إنجازه رغم قلة الإمكانات، وهنا يظهر الدور المحوري للسينما".

«معركة الجزائر"... الفيلم المرجع

يروي لنا ياسف سعدي، كيف اتّصل به أمريكيان قُبيْل احتلال العراق سنة 2003، وكيف التقياه وطلبا منه تصريحا بعرض الفيلم على الجنود. "أعطيتهم التصريح ولم أطلب مقابلا ماديا على ذلك. فعلت ذلك، لأنهم كانوا سيعرضونه في كل الأحوال، وعلى الأقل سيكون ذلك باختياري"، يقول ياسف، مضيفا: "جاء شخصان إلى الجزائر العاصمة في هيئة صحافيين، رفقة امرأتين... حسبت في البداية أنه مجرد لقاء صحفي، ولكن طبيعة أسئلتهم زرعت الشك في نفسي...

الجـزء الخامـس من معركة الجزائر قريبا

مثلا كانوا يسألونني حول سنوات الثورة التحريرية حينما كنت مسؤولا في الجبهة، وعن طريقة تعامل الفرنسيين معنا". ويضيف: "في نهاية الأمر اتّضح أن أحدهما هو من جهاز الاستخبارات الأمريكي CIA والثاني من مكتب التحقيقات الفيدرالي FBI... أذكر أنني قلت لهم: في اليوم الذي ستضعون فيه أرجلكم في العراق ستخسرون الحرب، لأنه من يشعل نارا يختنق بدخانها".

يلقى "معركة الجزائر" اهتماما سينمائيا أكاديميا منقطع النظير، حيث يدرّس في العديد من المعاهد الفنية، ناهيك عن الاهتمام العسكري بهذا الفيلم، الذي يبين بوضوح تكتيكات حرب العصابات والمدن.

وقد تمّ دعوة المجاهد ياسف سعدي إلى الولايات المتحدة للحديث عن الفيلم في أكثر من مناسبة... ويتذكر محدثنا عندما ذهب إلى نيويورك ليحضر لقاءً، وتحدث عن القضية الجزائرية وطريقة تصوير الفيلم... "كان هنالك شخص يبدو مثقفا"، يروي ياسف، "قال إن فرنسا تصدقت بالحرية على الجزائريين. أجبته: إذا كانت فرنسا قد ربحت الحرب، فلماذا خرجت إذن من الجزائر؟".

لكن هذا الكلام لا ينقص شيئا من قيمة "معركة الجزائر" الذي يحتل المركز 120 ضمن قائمة مجلة Empire تضم الأفلام 500 الأفضل في كل الأوقات. كما أنه فتح باب التتويجات لعدد من الأفلام الجزائرية، منها الأوسكار للفيلم الجزائري "Z"، وترشيحات للأوسكار لأفلام حديثة منها "أنديجان" و«الخارجون عن القانون" لرشيد بوشارب.

بونتيكورفو "الجزائري"

وعن سبب اختيار المخرج الإيطالي جيلو بونتيكورفو Gillo Pontecorvo دون غيره، يقول ياسف سعدي إنه بخروجه من السجن وانتهائه من كتابه "معركة الجزائر"، تبلورت لديه فكرة إنتاج الفيلم، وبدأ رحلة البحث عن مخرج سينمائي. وكان الخيار الفرنسي مرفوضا تماما، بحسب قوله، كما أن الإيطاليين كانوا الأكثر تطورا في مجال السينما.

اتصل ياسف سعدي بأربعة مخرجين قبل أن يختار بونتيكورفو، الذي كان هو بدوره يريد تصوير فيلم عن المنظمة الإرهابية OAS في الجزائر، وكان مطّلعا على تاريخ وثورة الجزائر "التي أعجب بها وأحبّها"، يؤكد ياسف سعدي، إلى جانب المعيار الفني الإبداعي، خاصة وأن فيلمه "كابو Kapo" كان قد رشح لأوسكار أحسن فيلم أجنبي سنة 1961.

ثم تم الاتصال بالسيناريست فرانكو سوليناس Solinas، وقدم الإثنان إلى الجزائر وأقاما بها ثمانية أشهر. وتحدث فريق العمل مع مجاهدين من أجل الاقتراب من الواقع قدر الإمكان.

ويقيّم ياسف سعدي تكلفة الفيلم بما يقارب 800 مليون سنتيم حينها... وعن مصدر هذا المال يقول: "حين اندلاع الثورة، تبرّعتُ وعائلتي بـ7 آلاف فرنك وكان المرحوم رابح بيطاط حاضرا حينها. وكنا والحمد لله عائلة برجوازية ميسورة الحال، وكان والدي قد اشترى منزلا رائعا للعائلة، قمت بتأجيره للحصول على المال اللازم من أجل الفيلم".

أما الأجانب في الفيلم، فكان أغلبهم من السياح والمارين الذين يقومون برحلات حول العالم، لذلك فلم يكلفوا كثيرا مقابل تمثيلهم (الطعام والمأوى وقليل من المال).

وبالنسبة للمنزل الذي استشهد فيه علي عمار "لابوانت" ورفقاؤه، فقد أعيد بناؤه ثم تفجيره لأغراض التصوير، "وهذا يبين حرصنا على إظهار الحقيقة"، يقول ياسف... حقيقة يبدو أنها أرّقته بل ودفعته إلى التمثيل لأول مرة، ليجد نفسه يجول أزقة القصبة ممثلا، وهو الذي صال وجال فيها مجاهدا ومسؤولا ميدانيا إبان الثورة: "لم يسبق لي أن مثلت، وكان المخرج قد اقترح عليّ أن أؤدي شخصيتي الحقيقية، رفضت في البداية، ثم أديت الدور خوفا من أن يمثله أحد غيري ويغيّر شيئا من الحقيقة... لقد حرصت على أن أكون حاضرا في تصوير كل المشاهد".

وكان الاتفاق على أن ينال المخرج والسيناريست 80 من المائة من مستحقاتهما، على أن ينالا 20 من المائة المتبقية بمجرد نجاح الفيلم. ويصرّ ياسف سعدي هنا، على أنه اشترى حقوق التأليف المتعلقة بالفيلم (بما في ذلك الموسيقى التي ألفها الموسيقار إنيو موريكوني)، ليكون الفيلم كله جزائريا.لكن... إذا كان الفيلم جزائريا

لقطة من فيلم معركة الجزائر
من اليمين إلى اليسار علي لابوانت ، بتي عمر، حسيبة بن بوعلي ومحمود بوحميدي

وحقوق تأليفه قد تمّ شراؤها، فلماذا تعتبره الأكاديمية السينمائية الأمريكية فيلما إيطاليا؟ ولماذا يسمح بعض المخرجين لأنفسهم باستعمال موسيقى موريكوني؟

حقوق ضائعة؟

«تارنتينو ليس لديه حق في استعمال موسيقى الفيلم في أحد أفلامه... إنها سرقة"... بهذه العبارة يصف ياسف سعدي توظيف المخرج الأمريكي كونتن تارنتينو Quentin Tarantino مقطعا من موسيقى "معركة الجزائر" في فيلمه "Inglourious Basterds 2009 ". (حائز على أوسكار وسعفة ذهبية بمهرجان كان، وجائزة غولدن غلوب، فيما رشح لـ7 جوائز أوسكار) – وقال ياسف، إن الشركة التي تشرف ابنته عليها بالأراضي الأمريكية، ترعى حقوق الفيلم وتعمل على مقاضاة كل من يتعدى عليها، "وهو ما قمنا به ضد شركة إنتاج إيطالية ادّعت حيازة الحقوق"، يقول سعدي، الذي يخبرنا بأنه تنازل لابنته عن حقوق التأليف.

...وتتواصل المعركة

في الماضي ساهم ياسف سعدي مع رفقاء السلاح في تحرير الوطن... لكنه الآن يخوض معركة من نوع آخر، حيث يقول إنه جاب 62 مؤسسة تربوية وجامعة، ونسخ على حسابه الخاص أقراص "دي.في.دي" بخصوص فيلم معركة الجزائر، وكذا عن شخصيات تاريخية منها من هو مذكور في الفيلم، كما يقوم بشرح السياق الذي جاءت فيه قصة الفيلم وهي المستقاة من الواقع. ويؤكد ياسف، أن الشباب والأطفال يطرحون أسئلة عجيبة وذكية في بعض الأحيان، وأنه يحتفظ بها في أشرطة (حوالي 150 شريطا مسجلا).

ويعتبر محدثنا أن هذا العمل هو بالنسبة له مساهمة في "معركة الجزائر" الثانية، هي معركة العلم. "أنا أقول لهم: نحن لم نقم سوى بتحرير 50 من المائة من الوطن، وعليكم أنتم بتحرير 50 من المائة المتبقية، ليس باستعمال السلاح وإنما بالقلم.

800 مليون سنتيم تكلفة إنتاج الفيلم

ولا ينسى ياسف رفقاء اليوم... "هناك من يساعدني من الرفقاء القدامى، أذكر هنا يوسف زاني وهو ابن شهيد، وكذا عبد الرحمن ياسف، وهو أخ الشهيد عمر ياسف (عمر الصغير) رحمه الله. هما يتصلان بمديري المؤسسات وينظمان المواعيد واللقاءات... أنا أحس بالرضا حين أقوم بهذه النشاطات.. أتوقف أحيانا عند نقطة استشهاد البطل زبانة، أتحدث في هذا الشريط عن الجلاد ميسونيي الذي قتلنا أحد رجاله (كان في حانة في بن مهيدي، تتبعناه وقضينا عليه في باب الوادي)".

الحقائق الملهمة

يكشف ياسف سعدي بأنه قيد كتابة الجزء الخامس من "معركة الجزائر"... ولكنه يكتب هذه المرة في بيئة مختلفة: "سأكون صريحا، في تلك الأيام كنّا كالإخوة بيننا، ولكن بمجرد رؤية حركة المرور مثلا، وما يميّزها من فوضى ولا تسامح، أحسّ بأن الأمور قد تغيّرت". إلا أن هذا لن يثنيه عن الكتابة لكشف فضائع الاحتلال: "منذ دخلت فرنسا الجزائر، استشهد ملايين الجزائريين، بأعداد أكثر بكثير مما يصرح به المؤرخون" يقول ياسف، المصرّ على ضرورة تخليد ذكرى هؤلاء الشهداء.

يبدو أن معطيات كثيرة ماتزال في انتظار التحقق، منها العدد الإجمالي للشهداء، حقوق التأليف الخاصة بالأفلام الجزائرية ذات الصيت العالمي، ولكن أمرا واحدا يبدو أن له قيمة ثابتة: الثورة الجزائرية التي ألهمت وستلهم أحسن الأعمال الفنية بمختلف صورها.

بادر بها مصطفى كاتب وانضم إليها كاتب ياسين ونجوم كبار

الفرقة الفنية لـ"الأفلان" رافعت لعدالة القضيـــة الجزائـــرية

قدم ملفرعة عيسى، المخرج والكاتب المسرحي، قراءة في المشهد الثقافي الفني إبان الثورة التحريرية، متوقفا عند أدق التفاصيل، شارحا كل كبيرة وصغيرة. وقال عيسى من منبر "ضيف الشعب" في الذكرى 60 لثورة نوفمبر، إن كل العوامل توفرت من أجل إعطاء للتحرر الوطني بعدا شاملا يظهر من خلاله المشروع الجزائري البديل للاستعمار الاستيطاني الفرنسي. وهو مشروع يروّج للهوية الجزائرية التي حاول المستعمر طمسها وإزالتها بترديد أكاذيب عن عدم وجود أمة جزائرية في التاريخ.

فنيدس بن بلة

جاءت الفرقة المسرحية لجبهة التحرير الوطني بمبادرة من مصطفى كاتب، بودية من تونس للتعريف بالقضية الجزائرية وكسر التعتيم الإعلامي الفرنسي المسيطر على القنوات الإذاعية والصحف ودور النشر.

أنشئت الفرقة بتونس العام 1958، لتهتم بفنون المسرح، الموسيقى والغناء. انضم إليها مؤلفون ومخرجون وممثلون كبار، منهم كاتب ياسين، المفتش الطاهر، يحي بن مبروك، سيد علي كويرات وآخرون. انطلقت في عمل مضاد لما تقوم به فرنسا الاستعمارية من حملات مناوئة للثورة، واصفة من يخوضونها بـ«قطاع الطرق» ومحاربتهم بأقصى درجة القوة هو الرد الوحيد عليهم.

أبناء القصبة... الخطوة الأولى

كانت مسرحية "أبناء القصبة" من إخراج عبد الحليم رايس، أول عمل حققت به النجاح الكبير من خلال الترويج إلى الذات الجزائرية وحضارتها وتاريخها العريق الأصيل المتأصل. وأول أغنية أنجزتها "يادزاير" من تلحين هارون الرشيد.

تحركت فرقة جبهة التحرير، التي عملت ما في المقدرة من أجل بلوغ مستوى مسرحي محترف عال لشد الأنظار، في محيط محتل واستعمار استيطاني أغرق الجزائر بشتات أوروبا من مالطيين، أسبان، قبرصيين ومكنهم من الاستيلاء على خيرات الجزائر ونهب أخصب أراضيها ونفي مالكيها وتشريدهم.

تحركت الفرقة حاملة رسالة تشكل الوجه الآخر للثورة، تكشف هذا الاستعمار الاستيطاني وتنقل صرخة الحرية وانتفاضة الاستقلال التي كانت الخيار الوحيد واللغة التي يفهمها المستعمر الفرنسي المتلاعب بالحقوق، المتغطرس، الرافض الاستماع إلى نداء الحق وتلبية طلب مسيرات احتجاج ومقاومة.

تحركت الفرقة - بحسب ملفرعة - شاقّة الطريق لإظهار للملأ وللرأي العام، أن الثورة الجزائرية صادقة في مسعاها وتحمل مضمون التحرر الذي التفّ حوله الشعب وانخرط فيه تطبيقا لمقولة بن مهيدي التاريخية: "ألقوا بالثورة في الشارع يحتضنها الشعب".

تحركت مختلف مكونات المجتمع منها فرقة "الأفلان"، شقت طريقها في مختلف الأصقاع معرّفة بالنضال التحرري في الجزائر. قدمت عروضا في مصر، ليبيا، المغرب، يوغوسلافيا، الصين وبلدان أوروبا الشرقية، فكان التجاوب معها كبيرا عرف الجمهور الجزائر أمة، تاريخا وحضارة.

الوجه الآخر للكفاح المسلح

مدت الفرقة قناة اتصال مع الآخر، الشغوف لمعرفة حقيقة الثورة وما يجري في الجزائر المكافحة من معركة مصير.

نعيمة ياحي، المؤرخة في شهادات حية عن فرقة الأفلان تقول: "بعيدا عن المعارك المسلحة بالعاصمة التي اضطرت الإدارة الاستعمارية الفرنسية إلى فرض حالة طوارئ، تأسست

الفنان فريد علي

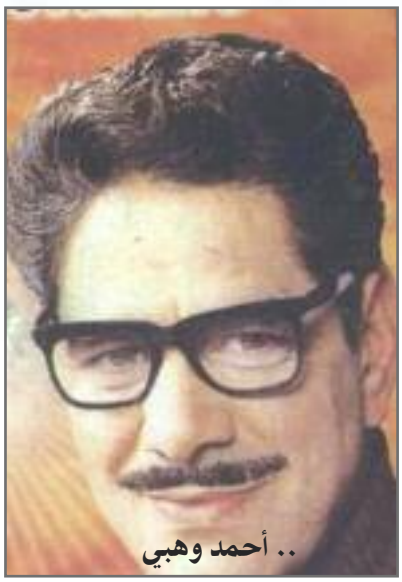
.. أحمد وهبي

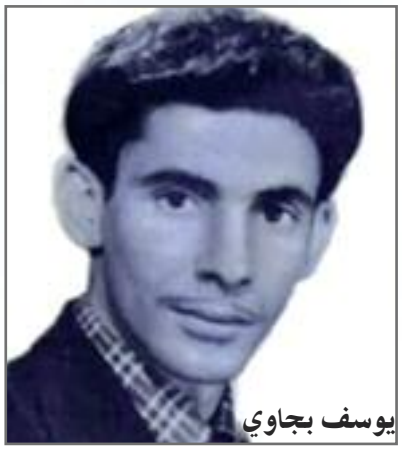
يوسف بجاوي

فرقة جبهة التحرير الفنية، كاشفة عن نضال سياسي يشكل الوجه الآخر للنضال السياسي العسكري، حيث يمثل المسرح والموسيقى فضاء مهمّا للدعاية الثورية".

"لقد ربح الجزائريون الحرب بسبب عدالة القضية وصدق الكفاح المسلح الذي انخرط فيه الفنانون والمثقفون والكتاب، أمثال الأديب كاتب ياسين، وخاضوا معركة على طريقتهم ومناهجهم تصب في الهدف الواحد: تحرير الجزائر".

بهذه الطريقة قام الفنانون والمثقفون بخوض الحرب على المستعمر الفرنسي الذي ضرب حصارا على الحدود ومدّ الأسلاك المكهربة بآلاف الأميال عبر خطي شال وموريس، اعتقادا منه أنه الأقوى في محاصرة الثورة وتجفيف منابع تموينها وتسلّحها. لكنه أخطأ التقدير، حيث زادت الثورة توهّجا وزاد معها نضال الفرقة الفنية للأفلان التي لجأ إليها الكثير من الفنانين المهاجرين بفرنسا والتحقوا بها في تونس.

انخرط الفنانون القادمون من فرنسا في فرقة أحمد وهبي ورددوا الأغنية الشهيرة "وهران وهران رحتي خسارة" وهي أغنية رددها أيضا "الكينغ خالد" محققا الرواج الكبير.

ولا ننسى " يا دزاير"، الأغنية الوطنية الرائدة التي هي من كلمات وتلحين أحمد وهبي، وقد لحنها المطرب الوهراني بيوغوسلافيا.

من جهته يوسف بجاوي، المعروف بالنغمة القبائلية، التحق بالعاصمة التونسية بعد تأليف أغنية ثورية تمجد جزائر الحرية سنة 1958.

وكذا الفنان فريد علي، الذي بعد خروجه من السجن والتعذيب، ألّف أغنية "أمي لعزيزة لا تبكي سأثأر لك". وهي أغنية صارت أنشودة المجاهدين تردد في الجبال وتجد صداها لدى العائلات الجزائرية.

هكذا تأسست فرقة جبهة التحرير الفنية. وهكذا خاضت معركتها في الترويج لعدالة قضية، كاشفة أنها شريك في صنع الاستقلال الذي انتزع بقوة السلاح واللغة التي أفهمت المستعمر أن الجزائر لها هويتها وأن فرنسا مثل القوى الاستعمارية الأخرى التي مرت من هنا، عادت من حيث أتت جارّة وراءها خيبة الهزيمة على يد شعب جزائري تواق للحرية، مقاوم للاستعمار، مهما كانت قوته.

فرقة الأفلان التي قربت المسافات واخترقت الحواجز وأسقطت الممنوعات وهي تناضل من أجل الجزائر، تستحق الإشادة والتنويه في هذه المناسبة التاريخية: احتفائية مرور ستين عاما عن ثورة نوفمبر الخالدة.

«يادزاير" لأحمد وهبي، "أمي لعزيزة لا تبكي..." لفريد علي، أغاني يوسف بجاوي دوى صداها في جبال الجزائر

مصطفى كاتب

قصائد حماسية للشاعر أحمد أرسلان مهربة من سجن الداميات بالمدية

"حزب الثوار... وفنات معاه لعمار"

في يوم من أيام شهر جويلية 1959، قام العدو بحملة تمشيط واسعة في إطار عمليات «شال»، استهدفت جبال موقورنو بنحو 33 كلم جنوب المدية، حينذاك وقعت معركة حامية الوطيس بين الاستعمار الفرنسي ووحدات من جيش التحرير الوطني، استعمل فيها العدو قنابل الغاز المحرمة دوليا، إلى جانب مختلف الأسلحة، أصيب فيها عدد من جنود جيش التحرير، كان بينهم الشهيد أحمد أرسلان بصفته مرشدا سياسيا بالولاية الرابعة، والذي نقل إلى معسكر الداميات، وهو مغمى عليه من أثر الغاز المستعمل، وبهذا المعتقل قضى فترة من الوقت، تجرّع أنواعا من التعذيب الجسدي والنفسي تضمنتها قصيدته في نحو 64 بيتا ألفها بدهاليز سجن الداميات .

عبد الرزاق عباس

واستنادا لشهادة إبن حيّه ورفيقه في السجن المدعو «محمد الداميات»، فإن سي أحمد كان يقوم بتأليف الأناشيد الحماسية، لأتكفل بإخراجها من السجن وإيصالها إلى شقيقه مصطفى، كنت أضعها في الغلاف الأسفل لـ«الترموس» لترسل إلى إخوانه في الجبال والقرى ، ومن بين أناشيده المؤلفة بالسجن: يا امحمد يا شهيد يا محرر العبيد...إلخ.

وعن واقع السجن المؤلم، أكد أن العدو كان يحاول وبشتى الطرق معرفة ما يدور بالسجن. بدورنا كنا نتجنب الحديث مع أي شخص لا نعرفه، نصنّفه ضمن من كان يطلق عليهم اسم «الزرق »، كما كان حراس السجن يسألونني في كثير من الحالات عن فحوى الأحاديث والقصص والحكايات التي ترد على لسان سي أحمد، فكنت دوما أردد عبارات «هو منزوٍ- لا يكلم أحدا»، وذات مرة اقترح عليّه بعض رجال المخابرات الفرنسية، تقديم تصريح عبر التلفزيون الفرنسي وعلى المباشر بعدها يقومون بإطلاق سراحه بمكافأة تتمثل في سكن ودكان تجاري بالعاصمة، فرد عليهم قائلا: «لا تنسوا وأنني منذ 1945 وأنا في النظام، وكم استشهد في هذه المجازر؟ فأجابه الذي كان يقوم باستنطاقه بقوله: فحتى أولئك الرعاة تعطون لهم قيمة، فرد عليه: لا تنسوا أن لكل البشر قيمة، فالراعي والعبيد وغيرهم عندنا متساوون في الاحترام والتقدير ليحول بعدها إلى سجن البليدة، حيث قضى به مدة، حاول أثناءها جلادو العدو الفرنسي استمالته إليهم والحصول على معلومات تخص الثورة بالمدية، لكنهم فشلوا في تحقيق أهدافهم. فتيقن حينها الشهيد، أنه على موعد قريب من إعدامه، ففكر في الهروب من السجن، وبالفعل فقد نجحت عملية الفرار بداية ربيع 1960، حيث استأنف نشاطه مجددا في صفوف جبهة وجيش التحرير الوطني، في ظل ظروف وتطورات بالغة الحساسية، وفي هذا الإطار اتصل بالشهيد سي امحمد بونعامة قائد الولاية الرابعة آنذاك، والذي أطلعه على آخر المستجدات في المجالين السياسي والعسكري.

ظروف استشهاده

بعد مدة قصيرة جدا قضاها بمنزل أخته، استعد الثلاثة: أحمد أرسلان رفقة سي محمد بن هلال والشهيد جمال مازوني، المسؤول العسكري للقسم الأول بالمدية، للخروج في حدود الساعة الحادية عشرة ليلا، وفي اللحظة التي وصلوا فيها إلى عتبة الباب، صادف ذلك مرور دورية للعدو، فانكشف أمرهم ووقع معهم تبادل لإطلاق النار، أصيب خلاله الشهيد ومرافقاه الشهيد مازوني جمال على مستوى إحدى عينيه، في حين أصيب أرسلان إصابات بليغة في إحدى رجليه بمنطقة تاكبو، فحاول الثلاثة التسلل من باب خلفي للمنزل، غير أن أحمد أرسلان عجز عن مواصلة السير والفرار رغم محاولة أخته إبعاده عن الدار لكنها لم تتمكن من ذلك. وبعد فترة وجيزة حاصرت قوات العدو المكان حيث ألقت القبض عليه، فنقل على متن سيارة مصفحة لجهة مجهولة يوم 29 / 09 / 1960، ومنذ ذلك الحين انقطعت أخباره ولم يتم العثور على رفاته لحد الآن.

وبحسب كل المجاهدين الذين أدلوا بشهادتهم حوله، واستنادا للباحث في التاريخ، علي عليلات، ، فإن أرسلان كان يتحلى بالشجاعة والإقدام والصبر عند الشدائد، والتواضع والتسامح، كما كان بشوشا لا يعرف الغضب أبدا، فهو يمثل الرجل الثوري المتفائل بالنصر لقضيته العادلة. وكان شاعر الثورة التحريرية بالكلمة الشعبية البسيطة، له عدة قصائد ألف بعضها في الجبال، حيث دارت معارك كبيرة بين المجاهدين والجيوش الفرنسية،وبعضها الآخر في السجن. كما كان محبوبا لدى الجميع. ومهما يكن فإن أشعاره مازالت تردد في الأعراس، أهمها نشيد "حزب الثوار" و«فنات مع لعمار" الذي بدأ في تأليفه منذ بداية الكفاح المسلح، وكان يؤدى بنفس النوطة الحماسية أثناء الثورة وأداها رابح دریاسة بعد 1962 مع إضافة أنغام الآلات الموسيقية بحسب المجاهدين الذين سجلت شهادتهم في الموضوع.

ومهما يكن، فإن أحمد أرسلان ترك عددا كبيرا من القصائد والأناشيد ذات الطابع الإعلامي خلال أيام الكفاح المسلح.

"مقتطفات من تاريخ بلاد الأمازيغ" أول إصدار له

المؤرخ الصغير أنيس بن طيب يفتح قلبه:

قطعتُ وعداً أن أنير درب الأجداد وأكون خير خلف لخير سلف

أنيس بن طيب، الكاتب أو المؤرخ الصغير، سكنه هاجس الكتابة بالرغم من حداثة سنّه، فاختار التاريخ بوابة لولوج هذا العالم، أراد أن يخلّد مآثر الجزائر البطولية وتاريخها العظيم، فأطلق العنان لمداده ليكتب ويؤرخ، ليثمر أول كتاب له بعنوان "مقتطفات من تاريخ بلاد الأمازيغ"، والذي كان في البداية مجرد بحث دراسي، ليصبح فيما بعد إصدارا هاما قد يكون يوما ما مرجعا للطلبة والباحثين.

هدى بوعطيح

أنيس بن طيب، طالب جامعي، سنة أولى، تخصص أدب عربي، من مواليد 24 جانفي 1995 ببلدية ماكودة، بولاية تيزي وزو، مؤلف كتابي "مقتطفات من تاريخ بلاد الأمازيغ" و«وقفة تأمل"، وعضو ناشط في الحركة الجمعوية، سواء في الكشافة الإسلامية الجزائرية أو المجموعة الخيرية "دير الخير وأنساه" تيزي وزو، ومسؤول الطلبة في الأمانة الولائية للاتحاد الوطني للشبيبة الجزائرية.

يفتح المؤرخ الصغير أنيس بن طيب قلبه لـ«الشعب" ليروي لنا بداياته مع عالم الكتابة التي اختارها في مجال التاريخ، وفي نفس الوقت يريد أن يعمّمها إلى المجال الأدبي ليشبع نهمه الفكري والثقافي والتاريخي.

بدايتي مع الكتابة كانت صدفة

يقول أنيس، إن بداية مشواره مع الكتابة جاءت من باب الصدفة، حين قام بإنجاز بحث تاريخي حول الأمازيغ وحضارتهم وثقافتهم، ومن ثم نال إعجاب أستاذه في مادة التاريخ بمتوسطة أحمد شافعي بماكودة، السيد أمزيان، مضيفا أن ذلك شجعه على تنقيحه ومراجعته جيدا، من أجل نسخه في عدة طبعات وتوزيعه على جميع المؤسسات التربوية الموجودة في دائرة ماكودة، وهو ما جعله يستعين بالدكتورة "جارية كشير" أستاذة بجامعة الجزائر، حيث وجهته وقدمت له العديد من الإرشادات، ليقوم بعدها بتنقيح الكتاب وتقديمه في حلة أكثر بهاء، سواء من حيث المضمون أو المرجعية التاريخية، قائلا: "الكتاب يعتبر ملخصا عاما لتاريخ الجزائر، بدءاً من أصل الأمازيغ إلى غاية عيدي الاستقلال والشباب عام 1962".

المطالعة المستمرة وحب الاستطلاع، جعلا من أنيس عاشقا للتاريخ، حيث يعتبر بالنسبة له مادة شغف، "كنت أبحث وأطالع في الكتب التاريخية، استوقفتني العديد من المحطات التي تبرز لنا كجيل الاستقلال، بطولة وشهامة وجرأة الأجداد وجيل الثورة، فقطعتُ وعدا أن أنير درب الأجداد وأكون خير خلف لخير سلف".

وعن اختياره للأمازيغ كبداية لمشواره في عالم الكتابة، أشار إلى أنه يقصد من خلال كتابه: "الجزائر"، حيث نسب الأصل لهذا الوطن. كما أن "مقتطفات من تاريخ بلاد الأمازيغ" ليس مقترنا بهم فقط. بحسب المتحدث. بل أخذت فترة الأمازيغ وحضارتهم وثقافتهم حيّزا كبيرا من الإصدار، ومن ثم عرّج على الدخول العثماني إلى الجزائر إلى غاية الاحتلال الفرنسي، واختتمه بالثورة التحريرية الكبرى.

كما أن من الدوافع التي قادته إلى إصدار هذا الكتاب، أصوله الأمازيغية، مصرحا "افتخر بذلك، وأسعى دائما إلى تعريف الآخرين بثقافتي عادات وتقاليد لأنها فعلا مصدر فخر لي".

يكتب أنيس بن طيب بكل حذر عن تاريخ الجزائر العريق، خوفا من الابتعاد عن الحقائق، حيث يتقصّى ويتحرّى قبل أن يقدم أي معلومة قد تبعده عن المصداقية، فالتاريخ بالنسبة له مادة صعبة وحساسة في آنٍ واحد.

يقول: "شخصيا، لم أتطرق إلى القضايا التاريخية المشكوك فيها، خوفا من أن أكون من مروجي التواريخ المزيفة، لهذا اكتفيت بتقديم ملخص عام لتاريخ الجزائر للقارئ الحبيب". مضيفا، أنه ولنزع الشبهات عن مؤلفه، استعان بأستاذة جامعية من أهل الاختصاص، كما قام بتأكيد الأحداث التاريخية من عدة مؤرخين، وهو ما أعطى المصداقية. بحسبه. لمضمون كتابه.

«عراقيل لا تنتهي ودور نشر تعتمد الربح المادي غاية"

قليلون هم مَن في سن أنيس بن طيب، من يولون أهمية لتاريخ الجزائر ويفكرون في تقديم إصدار ينير العقول، ويسلط الضوء على أهم الفترات التي مر بها هذا الوطن.

تلميذ في الإكمالية، حين أراد أن يحمل على عاتقه مسؤولية كبيرة بكتابة التاريخ، واليوم وهو طالب جامعي يحاول أن يواصل المسيرة، بالرغم من العراقيل التي اعترضت طريقه، دون أن يجد من يأخذ بيده، ليعلن عن ميلاد مؤرخ قد يُسهم في تحقيق ما عجز عنه الكثيرون، لاسيما وأن تاريخ الجزائر بحاجة إلى العديد من الأقلام الصادقة.

يكشف أنيس عن العراقيل التي اعترضت طريقه، مشيرا إلى أنها لا تُعدّ ولا تحصى، قائلا: "من خلال ثقتي بالله وإرادتي القوية وعزيمتي، استطعت أن أتحدى جميع الصعوبات، بدءاً بتكاليف إعداد الكتاب إلى طبعه".

وأضاف، أنه خلال فترة جمع المادة التاريخية كانت دائرة إقامته تفتقر لمكتبة تُمكنه من تصفح الكتب وإجراء لقاءات مع أهل الاختصاص. أضف إلى ذلك، أن معظم مصالح البلدية والولائية لم تعره الاهتمام الحقيقي واعتبرته مستهزئا أو طفلا يعيش الأوهام.

كما أن أهم مشكلة واجهته "كيفية طبع الكتاب"، وأنيس بالرغم من صغر سنّه وفي أول تجربة له، يقف على واقع مجمل دور النشر في الجزائر، التي تعتمد الجانب المادي غاية، قائلا: "مجمل دور النشر التي زرتها يطغى عليها الجانب التجاري على الجانب الإبداعي، حيث أن همّها الوحيد المال وكيفية تحقيق الأرباح"، مضيفا أن هذا ما حول المثقفين بالجزائر إلى ركود وخمول، عوض التأليف وتقديم إبداعات جديدة في الأدب. ودعا في سياق حديثه، إلى تخصيص ميزانية للكتابة والإبداع الأدبي، على اعتبار أنه أصبح فعلا مهمّشا في بلدنا وهذه حقيقة مرة، بحسب المتحدث.

ولم يفوّت الكاتب الصغير الفرصة من خلال "الشعب"، لتقديم شكره لكل من سانده، حتى يرى هذا الإصدار التاريخي النور، وعلى رأسهم "العياشي محمد الأمين"، الذي كان الصديق والأخ والداعم المعنوي له.

«قدموا لنا الدعم وانتظروا منّا النتائج"

وعن تمكنه من التوفيق بين الدراسة والكتابة، وهل ساعده التعليم أثناء كتابته لـ«مقتطفات من بلاد الأمازيغ"، أكد أن المسألة تتعلق بتنظيم الوقت، وأنه على الإنسان أن يحسن تنظيم وترتيب أموره، حيث أن "الدراسة هي أولى الأولويات، أما الكتابة فهي وسيلة للترفيه عن النفس وإيصال رسائل للمجتمع بغية إصلاح ما فسد فيه، سواء في الجانب السياسي، الاجتماعي، الثقافي أو الاقتصادي".. وقال: "ربما المشكل الوحيد يكمن حين تقديم محاضرات خارج ولايتي، أين أضطر إلى الغياب عن مقاعد الدراسة".

شغف أنيس بن طيب بتاريخ بلاده، لم يمنعه أيضا عن كتابة القصص، مؤكدا أنه سيصدر له قريبا مؤلف تحت عنوان: "أقاصيص الأستاذ أنيس"، بالتعاون مع الكاتب المصري شاكر صبري، مضيفا أيضا أنه في مرحلة التأسيس لمجلة فكرية شبابية، ستكون فضاء ومنبرا للشباب المبدع تحت عنوان: "فضاء الأدباء".

وفي ختام حديثه لـ«الشعب" وبمناسبة احتفال الجزائر بالذكرى 60 لاندلاع الثورة التحريرية، تمنّى بن الطيب المجد والخلود لشهدائنا الأبرار، ووجه عبر منبر "الشعب" نداءً للمعنيين، "يا أحبتي قدموا لنا كشباب الوسائل اللازمة وانتظروا منا النتائج، نحن الشباب نطلب القليل لنقدم الكثير". كما دعا المجاهدين الذين هم على قيد الحياة لكتابة مذكراتهم، على اعتبار أنها مرجعية هامة لجيل الغد.

وشكر الجريدة على إتاحتها له فرصة الحديث، متمنيا لها المزيد من التفوق والنجاح.

كتابة المذكرات مرجعية هامة لجيل الغد

فريق جبهة التحرير الوطني

مسيرة ثوار أبدعوا في ملاعب العالم لتبليغ رسالة نبيلة

أدى فريق جبهة التحرير الوطني دورا كبيرا في إسماع صوت الثورة التحريرية وإيصاله إلى كل أصقاع العالم، من خلال جولاته العديدة التي عرفت محطات تبقى تاريخية.. لاسيما وأن ميلاد هذا الفريق، أحدث دويّا إعلاميا ونضاليا كبيرا آنذاك، حين قام خيرة اللاعبين الجزائريين في فرنسا بترك أنديتهم في يوم واحد والالتحاق بتونس لتشكيل الفريق - الرمز وذلك يوم 13 أفريل 1958...

حامد حمور

مخلوفي: ما حققته مع الجبهة لا يمكنني الوصول إليه مع أيّ ناد أوروبي كبير

ولتقديم التفاصيل التاريخية عن هذا الحدث البارز في تاريخ ثورتنا المجيدة، ارتأينا الحديث لأحد صانعي خطوات هذا الفريق، رشيد مخلوفي، الذي قال لنا بشأن ميلاد التشكيلة المثالية التي أبهرت الجميع بطريقة لعبها والرسالة التي كانت تحملها، "الفكرة الأولى انطلقت عندما طلب مسؤولو فيدرالية فرنسا لجبهة التحرير الوطني عام 1957 من بومزرق إيجاد مدرب لتكوين فريق جامعي يتكون من الطلبة الجزائريين الذين يتابعون الدراسة بفرنسا للمشاركة في الألعاب الجامعية بموسكو... وهنا اتّصل بومزرق باللاعب بن تيفور وطرح عليه الفكرة، هذا الأخير قدم اقتراحا لبومزرق مفاده، الأحسن الاعتماد على اللاعبين المحترفين الجزائريين الموجودين في فرنسا"...

وحمل بومزرق هذه الفكرة لمسؤولي جبهة التحرير الوطني الذين فكروا في أمر مهم أكثر، بحسب محدثنا، وهو إعطاء الاقتراح قوة إعلامية وسياسية ونضالية أكبر، فأوضح: "التفكير السياسي المركّز للمسؤولين آنذاك جعلهم يستثمرون في الصدى الإعلامي لهذه الفكرة وطريقة تنفيذها، وخير دليل على ذلك أن دراسة الخطة وتجسيدها أخذ سنة كاملة لإعطائها كل أسباب النجاح، من خلال الاتصال باللاعبين وتقديم لهم كل تفاصيل الالتحاق بنقاط معينة في يوم واحد وهو 13 أفريل 1958 في سرية تامة".

وقد أحدث ذلك اليوم صدى إعلاميا كبيرا في كل وسائل الإعلام الفرنسية والأوروبية، وتصدرت مغادرة اللاعبين الجزائريين العناوين الرئيسية... لاسيما وأن العديد من اللاعبين كانوا نجوما في أنديتهم، على غرار مخلوفي وزيتوني اللذين كانا مرشحين للمشاركة في كأس العالم 1958 مع المنتخب الفرنسي.

الدقة والسرية في تنفيذ خطة يوم 13 أفريل 1958

وعن يوم تنفيذ الخطة وترك النادي، أشار مخلوفي لبعض التفاصيل التي تؤكد مدى الرزانة التي تحلّى بها كل اللاعبين الذين تركوا أنديتهم: "كل لاعب توجه إلى النقطة المتفق عليها من مدينة النادي الذي يلعب له... وكان هناك فوجان: الأول في نيس والآخر في ليون... هذا الأخير يمر عبر سويسرا... وأتذكر أنني مع كرمالي تخلّفنا عن موعد الالتحاق بسويسرا بسبب انتظارنا طويلا قدوم بوشوك من تولوز... ووصلنا إلى النقطة الحدودية ليلا، لكن لحسن حظنا فإن المراقب في ذلك المكان لم يسمع الراديو في تلك الأمسية، لأن الإنذار بمغادرة اللاعبين الجزائريين التراب الفرنسي قد أُعطي عبر وسائل الإعلام".

وذكر لنا مخلوفي، أنه مازال يتذكر الأسلوب الدقيق والسري الذي عمل به مسؤولو جبهة التحرير الوطني، أين كان كل شيء محضرا بصفة دقيقة عند وصول اللاعبين إلى سويسرا، أين تم استقبالهم قبل انتقالهم إلى روما وبعدها إلى تونس... فالفوج الأول تحول من نيس عبر روما وكان يضم كلاً من مخلوفي، روايي، بن تيفور، زيتوني وبوبكر... في حين قدم الفوج الثاني عبر لوزان بسويسرا وروما للالتحاق بتونس وكان يضم كلاّ من عريبي، كرمالي، بوشوك، براهيمي ومخلوفي... كما التحق براهيمي بالمجموعة

لاعبو فريق جبهة التحرير الوطني

وقدم لوحده.

الصدى الإعلامي أعاد أحداث الثورة الجزائرية إلى واجهة الصحافة الفرنسية

وبفضل هذه العملية النضالية الكبيرة، عادت أحداث الثورة الجزائرية لتتصدر صفحات الجرائد في فرنسا خاصة، أين قال مخلوفي: "في سنة 1958 تعمّدت الصحافة الفرنسية عدم تناول مواضيع عن الثورة الجزائرية، فكانت هذه المناسبة كبيرة لعودة أحداث الثورة إلى واجهة الصحف الفرنسية، وكانت العملية ناجحة بالنسبة لمسؤولي جبهة التحرير الوطني بميلاد الفريق والتحاق اللاعبين بتونس والصدى الإعلامي الذي رافق هذا الميلاد، أين كانت أضواء الإعلاميين مسلطة علينا أينما سافرنا، كوننا كنا نحمل رسالة نبيلة وهي إسماع صوت الثورة التحريرية من أجل استقلال الجزائر".

Vive émotion dans les milieux sportifs
Plusieurs joueurs de football musulmans ont disparu...
ZITOUNI
BOUBEKEUR, BEN TIFOUR
BOUCHOUK, BRAHIMI

يمكن القول إن عدد اللاعبين الجزائريين المحترفين كان 10 فقط في الأول، وتم الاستعانة بمدافع جزائري كان يعيش بتونس قبل التحاق اللاعبين الآخرين على غرار زوبة وسوكان... أين لعب فريق جبهة التحرير الوطني 93 مباراة خلال 4 سنوات، وفاز بمعظمها وانهزم في 12 مقابلة فقط...

وعن هذه المسيرة النضالية، يضيف مخلوفي: "زرنا بلدانا عديدة أين تم استقبالنا بصفة مثالية في كل من يوغسلافيا، الاتحاد السوفياتي، بلغاريا، رومانيا، الفيتنام... ولعبنا مقابلات قوية... والبعض من المنتخبات استنسخوا طريقة لعبنا وطبّقوها على غرار رومانيا".

مخلوفي: التفكير إلا في الجزائر والعمل لأجلها قبل الاستقلال وبعده

وفي سؤال عن المحطة التي بقيت في ذاكرته لحد الآن، ردّ مخلوفي: "المسيرة كلها بقيت ذكرى عظيمة بالنسبة إليّ لا يمكن محوها، حيث أن الشيء الذي ميّز فريق جبهة التحرير الوطني وعشته بصفة يعجز اللسان عن وصفه، تلك الأجواء العائلية ومجموعة اللاعبين الذين يشكلون تشكيلة متكاملة وتملك إمكانات فنية ومعنوية عالية أبهرت العالم بطريقة لعبها وتفانيها في العمل... وأقول بهذه المناسبة، إن ما حققته مع فريق جبهة التحرير الوطني لا يمكنني الوصول إليه لو لعبت لأيّ نادٍ كبير في أوروبا، لأن حياتي تغيّرت أولا كرجل بفضل احتكاكي برجال مخلصين، تعلمت منهم الكثير في طريقة التفكير والتعامل مع الآخرين... عرفت ما معنى الروح الجماعية... والتفكير إلا في الجزائر والعمل للجزائر قبل الاستقلال وبعده. وثانيا، كلاعب كرة القدم أين ارتفع مستواي الفني بوجود لاعبين كبار بجانبي، والطريقة الفنية التي كنّا نلعب بها المقابلات".

فالرسالة التي حملها فريق جبهة التحرير الوطني، ساهمت كثيرا في إسماع دوي الثورة التحريرية في العالم بأسره... وبفضل تفاني هؤلاء اللاعبين بعد استقلال الجزائر، واصلوا عملهم على مستوى التأطير، أين أشرف العديد منهم على الأندية والمنتخبات الوطنية، وسجلوا أسماءهم بأحرف من ذهب، وكل الألقاب التي سجلتها الكرة الجزائرية كانت بأسمائهم، بداية من الميدالية الذهبية التي نالتها الجزائر في ألعاب البحر الأبيض المتوسط 1975، وكان مدرب المنتخب الوطني رشيد مخلوفي، الذي قال في هذا الشأن: "كنت أدرب المنتخب الوطني العسكري، لكن قبل 3 أشهر من ألعاب البحر المتوسط التي احتضنتها الجزائر وبقرار من الرئيس الراحل هواري بومدين، عيّنت على رأس المنتخب الوطني، أين اعتمدت على معظم العناصر التي كانت في المنتخب العسكري، إلى جانب اللاعب بتروني وتمكنّا من إهداء الجزائر أول لقب دولي في كرة القدم"...

وتوالت التتويجات بفضل العمل الاحترافي للاعبين السابقين في فريق جبهة التحرير الوطني، أين نالت مولودية الجزائر اللقب القاري للأندية بقيادة حميد زوبة عام 1976... ثم تلاه لقب الألعاب الأفريقية 1978 افتكه المنتخب الوطني بقيادة رشيد مخلوفي... كما تأهل المنتخب الوطني للأواسط ،لأول مرة، ولحد الآن مرة واحد، إلى كأس العالم 1979 والذي كان يشرف عليه الراحل عبد الحميد كرمالي... هذا الأخير الذي أهدى الجزائر لقب كأس أفريقيا عام 1990 بالجزائر... وقبله مختار عريبي مع وفاق سطيف حين توّج عام 1988 باللقب القاري للأندية... وقال مخلوفي عن هذه الألقاب: "الأرقام والألقاب دليل على أن عملنا القاعدي الذي عرف بالصرامة والتنظيم وإعطاء المثل، دام لأكثر من 10 سنوات كانت مميّزة لكرة القدم الجزائرية".

شهادة الدكتور السينغالي بكاري صامب يكشف:

النضال التاريخي للجزائر مفخرة لكافة الشعوب الإفريقية

كان اندلاع الثورة التحريرية في الفاتح نوفمبر 1954، حدثا فارقا في تاريخ الشعوب الخانعة تحت نير الاستعمار، فقد امتدت شرارتها سريعا في شوارع القطر الجزائري الخاضع لسلطة الاحتلال الفرنسي أين احتضنها الشعب وحماها ودافع عنها وقاد مصيره ببندقية ورشاش إلى أن وصل إلى بر الحرية والانعتاق.

حمزة محصول

وفي غمرة الكفاح التحريري الوطني، لم تجد الثورة من مانع لتتجه جنوبا نحو بلدان أفريقية قابعة تحت استعمار الدول الأوروبية، لأن للمستعمر (بكسر الميم) المنهج ذاته في الإستعباد والاستغلال والقهر والقضاء على المقومات الوطنية والسلب والنهب كما للمستعمر(بنصب الميم) طموح مشروع في استعادة السيادة على نفسه ووطنه، ولتحقيق هذه الغاية السامية وما تتطلبه من تضحيات جسام تولعت الثورة الجزائرية فكانت نموذجا احتدت به حركات التحرر الإفريقية.

فقد كان لثورة نوفمبر علاقة وطيدة وأخوية مع حركات التحرر التي نشأت في ذات الفترة بعديد الدول الإفريقية ضد، حيث امتزجت النضال الدبلوماسي بالعسكري وساهمت الجزائر في تكوين عدد معتبر من قادة الثورات ومدها بالأسلحة كدعمها للثورة الأنغولية وجزر الرأس الأخضر.وخرجت من صفوفها زعماء أفارقة تعلموا لغة الدفاع عن العدالة الإنسانية بإرادة فولاذية وروح بطولية على غرار الزعيم نيلسون مانديلا.

وعن مكانة الثورة الجزائرية في نفوس الأفارقة ما تركته من قيمة تاريخية ورمزية أكد الدكتور بكاري صامب، أستاذ التاريخ والحضارات بجامعة غاستون برغر بالسينغال في حديث ل«الشعب"، قائلا"أن كل طالب ثانوي إفريقي تعتبر الثورة الجزائرية من دروس التاريخ الأساسية، فهي رمز القطيعة مع الاستعمار ورفض التعسفية والنضال من أجل التحرر".

وأضاف "هذه الثورة شكلت حدثا فارقا في نظر الشعب الإفريقي الذي اكتشف مجددا بفضل المثال الجزائري أنه لا يوجد شيء يستطيع أن يقاوم إرادة شعب فخور بتاريخه ويؤخذ مصيره بيده". وعن إستثنائية الكفاح التحرير الجزائري المتمثلة في اتخاذ قادة الثورة الأوائل لمبدأ "ما أخذ بالقوة لا يسترجع إلا بالقوة" عكس ما كانت تنادي إليه أصوات إنذاك بضرورة الاستمرار على النضال السلمي أوضح أستاذ التاريخ وعلم الحضارات بجامعة غاستون برغر، "أن التجربة الجزائرية أخذت طريقا مختلف عن كثير من الدول التي عملت على الجانب السلمي والحوار، لكن الاستعمار في الجزائر بلغ درجة قصوى من الاستبداد وحاول طمس كل ماهو جزائري حتى الهوية الدينية والثقافية، وكل هذه السلوكات الاستعمارية أصبحت لا تطاق، خاصة إذا أدركنا أن الشعب الجزائري بطبعه لا يقبل الإهانة والإذلال".

ورأى بكري صامب، أن للثورة الجزائرية ومعظم حركات التحرر في إفريقيا قواسم مشتركة، باعتبار أن العدو المحتل واحد تمثله فرنسا، واعتبر أن الكفاح المسلح لجبهة التحرير ألهم الأفارقة على أكثر من صعيد، سواء من ناحية المبادئ أو الإرادة الشعبية أو نبل وشرعية الثورة.

وقال "لقد فتحت الثورة الجزائرية أعين الشعوب الإفريقية وأحدث الشرخ اللازم لأحداث الوعي بضرورة التحرر من القهر" مضيفا " أن هذه الضرورة لازالت قائمة لغاية الآن مادامت الدول الأوروبية تمارس ضغوطها لإبرام اتفاقيات اقتصادية ليست في صالح البلدان الإفريقية وتمثل خطورة على أمن واستقرار القارة".

وأفاد صامب، أن الثورة الجزائرية دعمت حركات التحرر ماديا وعسكريا ودبلوماسية، حيث تحول بموجب ذلك النضال التحرير للأفارقة إلى إرادة جماعية جامحة كللت بالاستقلال، ولفت "أنه لم يكن من قبيل الصدفة أن تستضيف الجزائر غداة استقلالها المهرجان الإفريقي للفنون، حيث كان ذلك تكريما لروح ثوارها الذي سقطوا في ميدان الشرف دفاعا عن الحرية" وأستطرد "أن هذا البلد ألهم عديد الثورات ضد الاستغلال في مختلف أرجاء المعمورة".كاشفا أن الرئيس السينغالي السابق عبد اللاي واد كان محاميا لجبهة التحرير الوطني فيما أعطى فرانتز فانون رمزية لهذه الثورة التي تجمع المصير المشترك لجميع المعذبون في الأرض.

وأكد بكري صامب، أن النضال التاريخي للشعب الجزائري يمثل فخرا لإفريقيا كلها، وأن الجزائر بتاريخها تمثل قاطرة الوعي التحرير في القارة، لذلك دعا "إلى أن تلعب الدور المنوط بها كقوة ريادية في إفريقيا، بامتلاكها كافة المقومات الاقتصادية والسياسية" وأضاف أن الأزمات الأخيرة بينت أن كل مبادرات الحلول طرحتها الجزائر وتؤدي دورا محورا في إعادة السلم والاستقرار في منطقة الساحل وإفريقيا ككل.

النشيد الوطني

قسما بالنّازلات الماحقاتْ والدّماء الزّاكيات الطاهراتْ
والبُنود اللاّمعات الخافقاتْ في الجبال الشّامخات الشاهقاتْ
نحن ثُرنا فحياةً أو مماتْ وعقدنا العزمَ أن تحيا الجزائرْ

* فاشهدوا * (bis)

نحن جُندٌ في سبيل الحقّ ثُرنا وإلى استقلالنا بالحرْب قُمنا
لمْ يكن يُصغى لنا لمّا نطقنا فاتّخذنا رنّة البارُود وزْنا
وعزفنا نغمةَ الرشّاشِ لحنًا وعقدنا العزمَ أن تحيا الجزائرْ

* فاشهدوا * (3)

يَا فرنسا قد مضى وقتُ العتابْ وطويناهُ كما يُطوى الكتابْ
يَا فرنسا.. إن ذا يومُ الحسابْ فاستعدّي.. وخُذي منّا الجوابْ
إنّ في ثورتنا فصلَ الخطابْ وعقدنا العزمَ أن تحيا الجزائرْ

* فاشهدوا * (3)

نحنُ من أبطالنا ندفعُ جُندا وعلى أشلائنا نصنعُ مجدا
وعلى أرواحنا نصعدُ خلدا وعلى هاماتنا نرفعُ بندا
جبهةُ التحريرِ اعطيناكِ عهدا وعقدنا العزمَ أن تحيا الجزائرْ

* فاشهدوا * (3)

صرخةُ الأوطانِ من ساحِ الفدا فاسمعُوها واستجيبُوا للنّدا
واكتبُوها بدماء الشّهداءْ واقرأوها لبَني الجيلِ غدا
قدْ مددْنا لكَ يا مجدُ يدا وعقدنا العزمَ أن تحيا الجزائرْ

* فاشهدوا * (3)

نداء الشعب الوطني للجزائر - وزارة المجاهدين - خط وزخرفة ع. خليف
طبع ENAP بوبا

رئيس النقابة الوطنية لناشري الكتب

أحمد ماضي

نجد انفسنا اليوم في مواجهة مرآة الحقيقة، التي تحدد مكانتنا بين شعوب الدنيا، خاصة وأن اللحظة الزمنية الحالية، مناسبة وضرورية، لأنها اللحظة التي تعتبر الفارقة الكبرى، في مسيرتنا نحو المستقبل، إنها اللحظة الحصورة بين الميلاد المتجدد للمجتمع الجزائري في العصر الجديد، المتمثل في ساعة الحقيقة التاريخية، المحددة بليلة أول نوفمبر ، والموثقة ببيان الميلاد الأهم، وبين زمن الخروج من دهاليز الجور والانحطاط، يوم الخامس جويلية، وتفصلنا عن اللحظة الأولى، ستون عاما، والثانية نصف قرن، ولا يمكن أن تكون المسافة بين اللحظتين موثقة للأجيال إلا من خلال الكتاب.

إن النقابة الوطنية لناشري الكتب، وهي تقطع مسيرتها التفاعلية تتطلع إلى المستقبل، انطلاقا من رصيد الماضي، وتراكماته في التجربة الجزائرية، في مغامرة الكتاب، فالمجتمع الجزائري، يتذكر أيام مكتبة المعصومة بعاصمة المعرفة والثقافة تيارت، التي ستبقى المنارة الكبرى، والدعم الذي نستعين فيما تأتي به الأيام القادمة، من عزائم وانجازات نتطلع إليه، لأن أيام المعصومة ليست محصورة في مدينة تيارت، بل تمتد أشعة انوارها في مختلف الحواضر، من توات إلى بجاية وتلمسان مرورا بالمحروسة العاصمة، وصولا إلى الزيبان وقسنطينة وبونة العتيقة، التي سعت النقابة الوطنية لناشري الكتب، إلى الانتقال إليها والتفاعل مع المثقفين وعشاق الكتاب فيها، من ابناء ابن الشاهد وابن الحفاف وعمر راسم وقوافل المثقفين، المنافحين عن صناعة الكتاب وتطويرها، والارتقاء بها لتصل إلى تطلعات الأجيال الجزائرية القادمة.

إن الذكرى الستون للثورة التحريرية المباركة، لن يكون للاحتفاء بها، وتكريس معانيها وإشاعة قيمها وغرسها في نفوس الأجيال، ونشر انوارها في العالمين، إلا من خلال الذهاب نحو الآفاق الكبرى التي تليق بها، وتحمل تكاليف الارتقاء، نحو رؤية تلك الجراح الغائرة، والمظالم الكبرى التي اقترفتها الوحشية الاستعمارية، في جدار الهوية الوطنية والذاكرة الذاتية، والتي لا يمكن الكشف عن مثالبها، إلا من خلال الكتاب الموثق لمستوى مكانتنا بين شعوب العالم اليوم.

إننا عندما نحلم باحتفاء نوعي وتاريخي مميز، يكون في مستوى مكانة الثورة التحريرية المباركة، التي تمكنت من تحرير الإنسان من براثن الاستدمار المقيت، فإننا لا نغفل من أحلامنا تلك الآمال التي يعقدها كل قارئ، وكل ناشر ، وكل طابع، وكل مكتبي، وكل كاتب، على البرامج الكبرى للحكومة المخصصة للكتاب، والتي هي اليوم في أمس الحاجة إلى وعي جديد، ومسؤولية تشبه تلك المسؤولية، التي غمرت أبطال نوفمبر، وعمت كل مناطق الجزائر، وهي البرامج المهمة، والتي كانت لها أبعاد تاريخية ثقيلة، ولكنها بحاجة إلى جهود الجميع، لتصل ثماراتها النوفمبرية المعرفية، إلى كل المداشر والقرى الجزائرية، كما وصلت روح نوفمبر إلى الجميع، وإلتحم بها الجميع.

تدرك النقابة الوطنية لناشري الكتب، أن هناك صعوبات وعقبات تنتظرها، وقد تعودت عليها وتمرست في اكتساب الخبرات المناسبة في تجاوزها، وكان نتاج ذلك الكثير من الانجازات، رغم قلة الدعم وعوز الحاجة وكثرة المضايقات، إلا أن تكاتف جهود المخلصين والمحبين للكتاب في هذا الوطن، وكم هم كثر في جنباته ومناطقه ساعدت كثيرا في الوصول، إلى تحقيق بعض الأهداف المنشودة، وتجسيد قليل من الأحلام، وما قدمته النقابة للقارئ أولا، والكتاب والمهتم والاكاديمي، وعاشق المعرفة، إلا قليل من كثير ندخره للقادم من الأيام التي نتمنى أن تكون في صالح الكتاب.

كم هو جميل أن نشعر اليوم، بتلك الارادة القوية من قيادة البلاد، من خلال فخامة رئيس الجمهورية السيد عبد العزيز بوتفليقة، ونحن نعبر مسيرتنا في حلقاتها الجديدة، لأن الحلم الأكبر الذي نعيش من أجله، هو أن يكون لكل مواطن كتاب، متوفر يحصل عليه بدون عناء ولا كلل، وأن يتحول الكتاب إلى تلك السلعة والخدمة الضرورية، التي لا يمكن تصور الحياة بدونها، وأن تكون في كل بيت جزائري مكتبة، يغترف منها، وتجمع شمل الأسرة، وعلى كنوز رفوفها، يتربى أبناؤنا، ويكبر في مساحتها شبابنا، لتكون أجمل ما يتوارثه الأحفاد، ويتركه من خلفهم الآباء لأبنائهم، وتكون مكتبات مدن الجزائر، أكثر من عدد المقاهي ومحلات الاستهلاك السريع، وأن تكون المكتبات مقصد الشباب وملتقاهم اليومي، صحيح أنه حلم جميل، ولن نكل ولن نمل من النضال والمثابرة، وبذل أقصى الجهود من أجل تحقيقه لأنه حلم مستمد من أنوار الثورة التحريرية المباركة، التي حلم قادتها والمنخرطون في أتونها، أن تعم الحرية ربوع البلاد، ويتجاوز رحيقها حدود الوطن، وكما تحقق حلم المناضلين من مختلف أجيال الحركة الوطنية، متأكدون من تحقق حلم أبناء الأستقلال في إشاعة صورة الجزائر القارئة والمتعلمة في كل المناطق.

إن النقابة الوطنية لناشري الكتب، متأكدة، أن هذا الحلم لن يتحقق، إلا عندما يتم تأسيس حقيقي وفعال، لقواعد أرضية صلبة لصناعة الكتاب، ولا توجد ظروف مناسبة لهذا التأسيس، إلا في هذه المرحلة، التي تعرفها البلاد في مسيرتها التاريخية، لأن إمكانيات النجاح متوفرة، وفي مقدمتها الإرادة السياسية لقيادة البلاد، في مواصل دعم وتشجيع الثقافة، والإهتمام بالكتاب، وهو ما يتنازمن مع تلك القرارات المهمة لتجسيد الديمقراطية التشاركية، التي تعتبرها النقابة الوطنية لناشري الكتب، إنها جزء فعال فيها، وعندها من الاستعداد الكافي لبذل المناسب من الدعم والمساندة، لإنجاح هذا المشروع.

والنقابة الوطنية لناشري الكتب، تتطلع اليوم إلى المؤسسات المنتخبة، لتولى الإهتمام الكافي والمناسب للكتاب والمكتبات العمومية، بإعطائها الاولوية القصوى، خاصة فيما يتيحه القانون الجديد للولاية والبلدية، لأننا لا نتصور أن تبني المشاريع السكنية، وتشق الطرقات السريعة، وتشيد القطارات السريعة، ولا يتم التفكير في مكتبة الحي، ومكتبة محطة القطار، ولا يوجد كتاب الطائرة والحافلة، وسيارة الاجرة للمسافات الطويلة.

إن عودة أمجاد القراءة، وبطولات المطالعة، وتزين المدن الجزائرية بالمكتبات، كما هي عادتها في السنوات الماضية، وإقامة الجوائز الوطنية لهما، وظهور النوابغ من القراء أحفاد البشير الابراهيمي، ليس بالأمر البعيد، ولا المستحيل، وإنما هو ميسر وممكن بأيسر الوسائل وأقل الامكانيات، وهي المسؤولية التى تقع اليوم على الجميع.

إن الاحتفاء بالثورة التحريرية المباركة، وقبله الإحتفال بخمسينية الإستقلال، سيكون الميلاد الحقيقي والكبير للثقافة الجزائرية، وفي مقدمتها الكتاب الجزائري، الذي أكدت الاحصائيات والمعاينة الميدانية، أن ظروف الاقبال عليه واسعة، وهي في تزايد مستمر، خاصة في المجامع العلمية الخارجية، والأسواق الدولية، ولن تكون هناك فرصة ذهبية، من أجل إعطاء الكتاب الجزائري انطلاقته الكبرى، وقد لمسنا ذلك من خلال معارض الكتاب الدولية، التي نتطلع إلى مناسبة حقيقية، يكون فيها للجزائر معرض دولي، يتناسب مع مكانتها التاريخية وقيمتها الجغرافية والاقليمية.

إن النقابة الوطنية لناشري الكتب، تبتهلها مناسبة لتوجه دعوتها، إلى كل المثقفين والمبدعين ورجال الأعمال والسياسين والمنتخبين من المخلصين، من أبناء الوطن إلى التوجه نحو الاهتمام بالثقافة الوطنية، وفي مقدمتها كنزها الأكبر، المتمثل في الكتاب لأنه الثروة المهمة الباقية، التي ستجعلنا من المحترمين في أعين العالمين، وكل الثروات زائلة وأسواقها متقلبة، والكتاب هو ما يجعل لتاريخنا مكانته المرموقة، وتمنحه الجاذبية الكافية وتغرس ثقته في الأجيال القادمة.

وستبقى الدولة الجزائرية، موصوفة بسمة مؤسسها عبد القادر، القارئ، والمؤلف، والشغوف بالكتاب، وبهذه السمة الراقية، تلبس الأجيال حلية الأولين، وبدونها نواجه الكثير من الصعوبات المكدرة، ويبقى سبيل الخروج بأجيال صافية الذهن، منتمية لذاتها ومنسجمة مع عصرها، عصر المعرفة والعلم والتكنلوجيا، إلا من خلال الكتاب، وستكون ستينية الثورة التحريرية المجيدة، إحتفاء بالحرية، وهل الحرية غير الكتاب.